جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

الأسرة في الشعر الأندلسي من بداية عصر الطوائف إلى نهاية عصر الموحدين (دراسة موضوعية وفنية)

إلهام اسليم سلمان القرالة

رسالة

مقدمة إلى

عمادة الدراسات العليا

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة

الماجستير في الدراسات الأدبية قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2004م

بسم الله الرحمن الرحيم

MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم(13)

إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالبة الهام اسليم القرالة بـــ:

"الاسرة في الشعر الاندلسي من بداية عصر الطوائف الى نهاية عصر الموحدين"

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية.

القسم: اللغة العربية.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. شفيق الرقب		2004/8/10	مشرفاً ورئيساً
أ.د.محمد المجالي		2004/8/10	عضواً
أ.د. علي المحاسنة		2004/8/10	عضواً
د. ماهر المبيضين		2004/8/10	عضواً

عميد الدراسات العليا

د. ذياب البداينـــــة

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤتة – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهداء

إلى من أحب العلم وزرعه فينا إلى من بذل الغالي والنفيس ليرى أبناءه وقد بلغــوا مراتــب العُلى . والدي رحمه الله . إلى رمز الحنان الندي والعطاء المتدفق على استحياء ، أُقدم بعضاً من فضلها أمي ، حفظها الله . إلى من لهم في قلبي مكانة وفي نفسي منزلة وفي خاطري رعشة اعتزاز إخواني وأخواتي .

إليكم جميعاً أُهدي هذا الجهد المتواضع .

إلهام إسليم القرالة

شكر وتقدير

يقتضيني واجب الاعتراف بالفضل والجميل أن أنوّه بالشكر والتقدير لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور شفيق محمد الرقب على ما أحاطني به من رعاية ، وما قدمه لي من تشجيع ساعد في إعداد هذا البحث ، مما كان له أطيب الأثر في نفسي ، فلهُ مني ما حييت الشكر والعرفان . والشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة المكونة من الأستاذ الدكتور علي المحاسنة ، والأستاذ الدكتور محمد المجالي والدكتور ماهر المبيضين، على تفضلهم بقبول مناقشة هذا البحث وتحمل عبء دراسته .

إلهام إسليم القرالة

فهرس المحتويات

الملخص

الأسرة في الشعر الأندلسيّ من بداية عصر الطوائف إلى نهاية عصر الموحدين
– دراسة موضوعية وفنية –

إلهام إسليم القرالة

جامعة مؤتة ، 2004

تهـدف الرسـالة إلـى دراسة الأسرة في الشعر الأندلسيّ من بداية عصر الطوائـف إلـى نهايـة عصر الموحدين ، وتقع الرسالة في تمهيد وأربعة فصول وخاتمـة ، عـالج التمهـيد مفهوم الأسرة لغة واصطلاحاً ، ثم عرجت للحديث عن الحـياة الاجتماعية في تلك المرحلة ، وتناول الفصل الأول تصوير الشعر للعلاقات الزوجـية ، وتناول الفصل الثاني علاقة الآباء بالأبناء ، وعالج الفصل الثالث علاقة الأمهات بالأبناء وعلاقة الإخوة بعضهم ببعض ، وتحدث الفصل الرابع عن القضايا الفنية في شعر الأسرة من حيث اللغة والأسلوب والصورة الشعريّة .

وانتهى البحث بخاتمة تلخص أهم النتائج التي توصلت إليها الرسالة .

Abstract

The Poetry of the family in Al – Andulos from At Twa'ef period to Al – Mawahdeen period.

Elham Slayyem Al –Qaralleh
Muta'h University, 2004

The thesis aims to study the poetry of the family in Al – Andulos. It contains preface, four parts and termination. preface talks about the social life in that period; the first part talks about marriage life in that period , the second part deals with the relation between fathers and their children, the third part deals with relation between mothers and their children ,and the relation between brothers and daughters. Finally the fourth part talks about technical things in family poetry especially styles, language and the image.

At the end the researcher summarize the results of the thesis.

الفصل الأول

الحياة الزوجية في الشعر الأندلسيّ

1 . 1 المقدمة :

تتــناول هــذه الدراســة موضــوع الأُسرة في الشعر الأندلسيّ من عصر الطوائف إلى نهاية عصر الموحدين ــ دراسة موضوعية وفنّيّة ــ وقد تبلورت فكــرتها بعد استقراء مجموعة من النصوص الشعريّة التي تبحث في العلاقات الإنسانيّة بين أفراد الأسرة في المجتمع الأندلسّي.

وتهــدف هــذه الدراســة إلى تتبع موضوعات شعر الأسرة ، والبحث في العلاقــات الإنســانيّة بيــن أفــرادها ، كعلاقة الزوج بزوجته ،والآباء بأبنائهم ، والأمهــات بالأبــناء والإخــوان بعضهم ببعض ، حيث يتم دراسة هذه العلاقات دراســـة تحليلــيــة مفصّــلــة فــي ضوء استقراء الشعر الأندلسيّ من عصر الطوائف إلى عصر الموحدين .

كما تسعى الدراسة إلى تحليل نماذج من شعر الأُسرة ودراستها دراسة فنّيّة للوقــوف عند السّمات الأسلوبية لهذا الشعر من مثل : اللغة والأسلوب ، والصورة الشعريّة، والعناصر القصصية والحواريّة .

ولــم يتقيد البحث بمنهج محدد في تحليل النصوص ودراستها وإنما أفدت مــن مــناهــج عــده من مثل : المنهج الاجتماعي ، والمنهج التاريخي ، والمنهج الفني ، بحيث يُتبع المنهج المناسب في الموضوع الّذي يتطلبه.

ولعــلّ ممــا صادفني في هذا البحث قلة المصادر والمراجع التي تتناول العلاقــات الأُسرية ، فقد تناولت العديد من الدواوين الشعريّة إلاّ أنني لم اعثر فيها علــى نمــاذج شعريّة تكشف عن الروابط الأُسريّة في الشعر الأندلسيّ،من مثل : ديوان ابن هانئ الأندلسيّ، وديوان الرصافي البلنسي ،وديوان ابن سهل الإشبيلي ، وغيرها من الدواوين الشعرية .

وتــتكون الدراسة من تمهيد وأربعة فصول وخاتمة : يدرس التمهيد مفهوم الأســرة لغــة واصطلاحاً، ثم الحياة الاجتماعية في عصر الطوائف والموحدين ، والدور الّذي اضطلعت به المرأة في تلك المرحلة .

ويـــدرس الفصـــل الأول الحياة الزوجية في الشعر الأندلسيّ ، وتم في هذا الفصـــل دراسة المواقف الإيجابية بين الزوج وزوجه والمتمثلة ، في حب الزوج لـــزوجه ، وحـــب الزوجة لزوجها وحرصها على حياته ، ورثاء الزوج زوجه ، والتكافؤ بين الزوجين ،إلى جانب دراسة المواقف السلبية بين الزوجين ، والمتمثلة في هجاء الزوجات ووساوس الزوجة ، وانفصال الزوج عن زوجه ، معززةً ذلك بالشواهد الشعرية الدّالة.

ويبحـــث الفصـــل الثانـــي فـــي علاقة الآباء بالأبناء في الشعر الأندلسيّ، والمتمـــثلة فـــي عاطفـــة الآباء و الأبناء ، ورثاء الآباء أبناءهـــم ، ورثاء الأبناء آباءهم ، معززة ذلك بالشواهد الشعريّة الدّالة .

ويتناول الفصل الثالث الأُمهات والأبناء والإخوة في الشعر الأندلسيّ، منها الحديث عن عاطفة الأُمهات و الأبناء ، وصورة الإخوة ، ورثاء الإخوان ، استناداً إلى دراسة نماذج شعريّة دالة على مثل هذه العلاقات الأُسرية .

ويتـــناول الفصـــل الـــرابع نماذج من شعر الأسرة في ذلك العصر ، وتم دراســـتها دراســـة فنـــيّة مُركـــزةً فـــيها على أهم العناصر القصصية ، واللغـــة والأســـاليب ، والصـــورة الشـــعريّة ومصادرها ، وتنتهي الدراسة بخاتمة تتناول النتائج الّتي توصل إليها الدارس .

وقـــد استقيت مادة هذه الدراسة من مصادر عديدة ، منهـــا ما هو مطبوع ومنشور ، ومنها ما لم ينشر كالرسائل الجامعية ، فمـــن كتب الأدب والتاريـــخ : (طوق الحمامة في الأُلفة والألّاف) لابن حزم الأندلسيّ ،و (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) لابن بسام الشنتريني ، و(الإحاطة في أخبار غرناطة) للسان الدين ابـــن الخطيـــب ، و(العقد الفريد) لابن عبد ربّه، و(المُغرب في حُلى المغرب) لابـــن ســـعيد الأندلســـيّ، و(الحُلة السيِّراء) لابن الأبار ، و(نفح الطيب من غصن الأندلـــس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب) للمقري ، وديوان ابن حمديـــس، وديـــوان المعـــتمد بـــن عباد ، وديوان ابن زيدون ، وديوان ابن درّاج القســـطلي،فقد تمّ استقراء معظم دواوين تلك الفترة ، والتي توافرت لدّي للحصول على مادة شعريّة دالة على العلاقات الأُسرية بين أفراد الأُسرة.

كما أفدت من بعض الدراسات الحديثة من مثل : (تاريخ الأدب الأندلسيّ عصـــر سيادة قرطبة) لإحسان عباس(والأدب العربي في الأندلس) لعبد العزيز عتــيق ، (والشـــعر الأندلســـيّ) لغارسيا غومس ،و(الشعر الأندلسي في عصر الطوائف) لهنري بيريس، و(الشعر النسوي فـــي الأندلس) للمنتصر الريسونـــي، و(الأدب في الأندلس) لمصطفى الشكعة،و(الشعر في عهد المرابطين والموحدين) لمحمد مجيد السعيد ، و(البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر الأندلسيّ) لسعد شلبي ، و(التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الأندلس) لحسن النوش .

1 . 2 : التمهيد :

جـاء في المعاجم تحت مادة (أسَرَ) المعنى اللغوي للأُسرة ، فهي تشمل عـدّة معـانٍ ، منها الدرع الحصينة ، وأسَرَ قتَبه : شدّهُ ، وقال ابن سيده : أسَره بأســره ، أسراً وإسارة ، شدّه بالإسار ، والإسار ما شدَّ به والجمع أُسر ، وأُسرة الـــرجل : عشـــيرته ورهطه الأدنون لأنّه يتقوّى بهم ، و الأسرة عشيرة الرجل وأهل بيته(1) .

أما المعنى الاصطلاحي للأُسرة ، فيجد الدارسون صعوبة في تحديده بسبب عدم ورود كلمة الأُسرة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، إذ لم يعثروا علـــى مصطلحٍ يعادل تماماً كلمة الأسرة سوى كلمة (أهل) الّتي تعني الأسرة أو ســـكان البيـــت ،فضلاً عن غموض المدلول العام لهذه الكلمة لأنها تُعطي دلالات متعددة(2).

وتـــنظر الدراســـات الاجتماعـــية إلى الأُسرة على أنها النواة أو الخليّة في المجـــتمع ، يقـــول محمـــد عقله :" وهي وحدة اجتماعية تتكون من زوجين يربط بينهما رباط شرعي ، و لهما أولاد يكون بينهم تعاون خاص من العلاقات "(3) .

وقد أشار علماء الاجتماع إلى أوضاع الأُسرة ، فقد كان نطاق الأُسرة عند العبرية ينتظم جميع أفراد العشيرة ، وأفراد العشيرة كانوا يتألفون من الأقرباء من جهـــة الذكـــور ، ولمتانة الرابطة الّتي تربط أفراد الأُسرة بعضهم ببعض ، كانوا يؤلفون من وجهة النظر القانونية ما يشبه الشخص الواحد (4).

ثـم اخـذ نطاق الأسرة يضيق شيئاً فشيئاً حتّى وصل إلى الحد الّذي كانت علـيه الأُسرة الرومانية المعروفة (بالأُسرة الأبوية) ، إذ يدخل في نطاقها الزوج والـزوجـة والأولاد المباشـرون الذكور وزوجاتهم وأحفادهم ، ثم البنات مادمن عذارى ، وقد يدخل في نطاقها أشقاء الزوج وزوجاتهم وأولادهم(5).

ثـم اخـذ نطاق الأُسرة يضيق شيئاً فشيئاً حتّى وصل إلى الحد الّذي استقر عليه الآن في معظم الأمم ، فلا تكاد تشمل إلا الزوج والزوجة والأولاد المباشرين ، وقد اصطلح علماء الاجتماع على تسمية الأُسرة في نطاقها هذا بالأُسرة الزوجية (6).

امتد عصر الطوائف اثنتين وستين سنـة ، من سقوط الدولة المروانيـة سنة (422)هـ إلـى مجيء ابن تاشفيـن إلى الأندلس سنة (484) هـ، وامتد حكم المرابطين فيها خمساً وخمسيـن سنـه ، حيث انتهى على يد الموحديـن سنـة (539)هـ. وتعـد تلـك الحقـبة من أبرز الحقب في التاريخ الأندلسيّ ، لشدة اتصـالهما رغـم تفاوتهما واختلافهما ، ولما تميزتا به من صفات وخصائص في الحـياة السياسـية والاجتماعـية والثقافية ، فقد كان ملوك الطوائف من عصبيات مخـتلفة ، من العرب والبربر والمولدين ، وكانوا متنافسين يغزو بعضهم بعضاً ، ويسـتنجد بعضـهم بملوك النصارى على بعض ، فكثرت الفتن بينهم من جهة ، وبين ملوك النصارى من جهة ثانية(7).

وقـد حكـم هذا العصر عدد من الدويلات ، كان أبرزهم وأشهرهم: الدولة الحمودية، والدولة الزيرية، والدولة الهودية، والدولة العامرية ، والدولة العبّادية ، ودولة بني الأفطس ، ودولة بني ذي النون(8) .

والجديـر بالذكر أن من أبرز خصائص هذه الدويلات كثرة الحروب الّتي أشـعلوها مـا بينهم طلباً للمجد الشخصي ، الغلبة فيها للقوي على الضعيف ، كما حدث وأزال (بنو عباد) مُلك (بني جهور) في قرطبة .

ولكـن مـن الإنصـاف أن يسـجل لهم أنّة بالرغم من جنايتهم على وحدة الأندلـس واسـتقلاله ، إلا أنهـم دعموا حركة الأدب ، وتمثل ذلك بكثرة العلماء

والأُدباء والشعراء ، وتنوع مجالات المعرفة واختلافها ، وكان التنافس بينهم على أشـده فـي شـتى المجـالات ، في العمران والأدب ، وبناء الحصون والقلاع ، وتشـجيع الشـعراء والكـتّاب والمغنين ، فكان معظمهم أُدباء وشعراء من مثل : المعتمد بن عباد ، والمظفر بن الأفطس ، وابنه المتوكل (9) .

وامـتد حكم الطوائف نحو (100) سنه استطاع في أواخرها ملوك الفرنجة مـن توحيد كلمتهم وصفوفهم ، في حين تفرقت صفوف المسلمين ، فهاجم الفرنجة هـذه الدويلات واستولوا عليها واحدة تلو الأُخرى حتى بلغوا (إشبيلية) حاضرة بنـي عـباد، مما اضطرهم إلى طلب النجدة من أمير المرابطين بالمغرب ، فجاء يوسف بن تاشفين بجيشه ، وأسقط ملوك الطوائف ، وضم الأندلس إلى ملكه ، بعد أن أُسر (المعتمد) وحُمل إلى (أغمات)، (10) .

وهكـذا بدأ حُكم دولة المرابطين (495 ـ 555) هـ ، بقيادة(يوسف بن تاشفين) ، ولما توفي آلت الإمارة إلى ولده (علي) إلا أن الأندلس لم تنعم بالهدوء والاسـتقرار لتعصـبه الشـديد للدين ، وتمسكه بمذهب مالك وكراهيته لغيره من المذاهب ، ودام حكم المرابطين في الأندلس نحو ستين عاماً ، فيها نشطت الحركة الفكـرية ، وبـرز أكابر العلماء منهم : أبو بكر بن باجة تـ (533) هـ، وأبو الوليد بن رشد تـ (595) هـ ، وابن عبدون ، كما ظهر العديد من الشعراء من مثل : الأعمى التطيلى ، وابن خفاجة ، وابن اللبانة ، وغيرهم الكثير(11) .

ثـم قامـت بعد ذلك دولة الموحدين (524ـ 668) هـ ويرجع الفضل في قـيامها إلى القبائل المصامدة ، وأخذت في بداية أمرها صورة حركة تدعو للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقول بالتوحيد على طريق الأشاعره ، من تأويل المتشابه من آيات القرآن والحديث ، ومن أجل ذلك سموا بـ (الموحدين)(12) .

ويعود الفضل في تكوين دولة (الموحدين) إلى رجل يُنتسب إلى آل البيت يدعـى (محمد بن تومرت) وقد تلقى مبادئ تعليمه الأُولى، بمساجد قريته كغيرة مـن أبـناء القرى المغربية ، وأمّ حلقات الدرس والعلم في المساجد وأندية العلم، وأبَاحت له رحلته الطويلة في بلاد المغرب والأندلس فرصـة الوقوف عن كثب

علــى أحوال العالم الإسلامي، فأدرك ظروف الانهيار الّتي تعانيهــا دول إمارات بلاد المغرب(13) .

ونظــم ابــن تومــرت أتــباعه في طبقات متباينة في عددها ، مختلفة في واجباتها الملقاة على عاتقها . وقد بلغت طبقات الموحدين أربع عشرة طبقة ، فبعد أن اطمــأن ابن تومرت إلى اكتمال تنظيمه ، بدأ بمواجهة دولة المرابطين مواجهةً مباشــرة ، فاســتطاع الموحدون أثناء حياته أن يهزموهم في العديد من المعارك ، فدمــروا معنوياتهــم ، وقللوا هيبتهم في أعيُن رعيتهم ، وخلف ابن تومرت أحب صــحابته إلــيه(عــبد المؤمن بن علي) فواصل عملة في الدعوة ومحاربة كلّ المرابطين في المغرب ، ثم بنى زيري الصنهاجين في الشمال الأفريقي ، وتوفي (عبد المؤمن) بعد أن أُصيب على أبواب مدينة شنترين سنة (580) هــ، وبويع لولــده (أبــي يوسف يعقوب المنصور) ودام حكمــــه من سنة(580) هــ حتى سنة(595) هــ وقد بلغت الدولة في عهده أوج قوتها وعظمتها ، فقد شجعوا العلوم والآداب ، وقد تمثّل هذا الاهتمام والتشجيع في إكرام الأدباء والشعراء (14) ، كما وعــنوا بالعمــارة والحضــارة، ومــن آثــارهم الخالدة منارة الجامع الكبير في إشبيليـــــة(15) ، وهكذا فقد دام حكم الموحدين نحو (130) عاماً .

وقد تكون المجتمع الأندلسيّ من عناصر شتى من مثل : العرب الّذين كانوا يحسون بنوع من الأرستقراطية ولعلّ ذلك الإحساس نابعٍ من غلبتهم على الإسبان والــبربر ، ولغتهم الّتي تفوق غيرها من اللغات ، والبربر الذين يشاركون العرب في البداوة والإسلام والعصبية القبلية ، والموالى وهم موالى بني أميه وقد كان لهم اليد الطولى في إقامة دولة عبد الرحمن الداخل ، والمولدون ، وهم العنصر الناشئ مــن تزاوج العرب بالبربر ، أو العرب بالإسبانيات والصقالبة ، وأهل الذمة وهم الإسبان الذين بقوا على مسيحيتهم ولم يدخلوا في الإسلام(16) .

والشــعب الأندلســيّ كغــيرة مــن الشعوب له صفاته الخاصة الّتي تميزه وتكشــف عــن طباعه وأخلاقه وعاداته ولعلّ أهم صفاتهم حب النظافة وعن هذه الصفة ينبئنا المقري بقوله :" وأهل الأندلس أشدّ خلق الله اعتناءً بنظافة ما يلبسون ومــا يفرشــون وغير ذلك مما يتعلق بهــم ، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته

يومـــه ، فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه ، ولا يظهر فيها ساعةً على حالـــه تنـــبو العيـــن عنها "(17) ،ومن صفاتهم أيضاً كرههم للتسول ، فإذا رأوا شخصـــاً قادراً على العمل يستجدي الناس في الطرقات سبوه وأهانوه ، ولعلّ هذا الوعي الجيد قد حمى البيئة الأندلسية من الكدية(18) .

أمـــا مـــن حيث الزي فيتميز أهل الأندلس بترك العمائم ولاسيما في شرق الأندلس ، في حين نجد أهل الغرب يلتزمون بلبس العمائم ، ويتزين جنودهم بزي النصـــارى المجاوريـــن لهم ، ومن صفات أهل الأندلس أيضاً حبهم للغناء ، ولعلّ ذلك يدل على رقة عواطفهم ، كما ويتميزون بإقبالهم على العلم للعلم ذاته ، فالعالم عـــندهم مُعظم من الخاصة والعامة ، يُرجع إليه ، ويعلو قدره وذكره عند الناس ، ويكرَم في جوارٍ أو ابتياع حاجة(19) .

وشـــعب الأندلـــس بالإضافة إلى هذه الصفات الجليلة شعب متدين ، فكانوا يُقـــيمون الحـــدود الشـــرعية على مرتكبي الجرائم وينكرون التهاون فيها ، وكان المسلمون في الأندلس جميعهم على مذهب أهل السنة فلم يعرفوا التعصب الديني ، تاركين لإهل الكتاب من نصارى ويهود حرية العقيدة والتعبد ، فقد تولى ثلاثة من الـــيهود الـــوزارة في الأندلس ، ولعلّ أولهم الوزير الشاعر حسداي بن يوسف بن حســـداي ، وكـــان وزيراً للمستعيـــن أحد الملوك الأموييـــن ، والوزير الثاني ابن نغرالّه ، وثالثهم إبراهيم بن سهل الإسرائيلي(20) .

كمـــا وتميزت الحياة الاجتماعية في الأندلس بازدهار الحياة الفكرية فيها ، فهؤلاء ملوك الطوائف والموحدين والمرابطين ليسوا إلا شعراء وعلماء وأُدباء فلم يكونـــوا بمعزل عن الحركة العلمية والأدبية في الأندلس بل إنهم زجوا بأنفسهم في هـــذه الحركة(21) ، فمن ملوك الطوائف الشعراء : المعتصم بن صمادح صاحب المـــرية ، وأولاده : الواثـــق ، ويحـــيى ، وأم الكرم ، ومنهـــم المعتمد بن عباد ، وأولاده : الرشـــيد ، والراضـــي ، وبثينة ، ومنهـــم ملوك بنى الأفطس أصحاب بطليوس ، وأشهرهم المظفر، فهؤلاء هم أعلام ملوك الأندلس ، قد أسهم كل واحد منهم بنصيب من أدبهِ أو علمه في نمو الحياة الفكرية في البلاد وتوسيع مجالاتها .

كمـــا وتمـــيزت البيـــئة الأندلســـيـــة بجمال طبيعتهـــا فهي بلاد جميلـــة ، فيهـــــا (خضرة وماء ، وبساتين وأنهار وفاكهه ورياحين ، فقد أصبحت الأندلس أُغنــية عذبة في فم الشاعر يُنشدها وهو بين ظهرانيها وأُنشودة ساحرة على لسانه يرددها وهو مغترب عنها)(22) .

فقــد تميزت كل مدينة من مدنها بلون من الجمال اختصت به عن غيرهاِ ، وكــــان لكــل واحدة منها عُشاقها المتحمسون لها وخير مثال على ذلك قرطبه وما قاله ابن زيدون في شوقه إليها وإلى صاحبته ولادة ، كما وقد حفلت مدن الأندلس بالقصـــور الأنيقة والّتي عنى بها الملوك والأمراء ، وأسرفوا في تزينها وزخرفتها أيّمـــا إســراف(23) ، واختاروا لها أفضل الأسماء من مثل : الزاهي ، والثريا ، وسعد السعود ، وفرشوها بالديباج وأُسدلت على حناياها الستائر ، وجمّلوها بتماثيل الأشـــجار ، والبهائم والأطيار ، وقد امتلئت هذه القصور بالنساء زوجات وإماء ، وبالجواري والغلمان ، والرقيق الأبيض(24) .

وفـــي ظـــل هذه الحياة الاجتماعية ، احتلت المرأة مكانة عظيمة ، فقد ألف فـــيها الأندلســـيون كتباً كثيرة أشهرها كتاب (طوق الحمامة في الأُلفة والألاف) لابن حزم الأندلسيّ ، حتى بزّت أُختها في المشرق الإسلامي.

ونالت المرأة الأندلسيّة نصيباً وافراً من التعليم ، فتفوق عدد كبير منهن في الآداب والعلـــوم والفـــنون ، كما ويُعهد إليهن تربيـــة أبناء الملوك والأُمراء ، من مثل : ابن حزم الأندلسيّ ، والذي تلقى ثقافته الأولى على يد نساء قصر أبيه .

كمـــا ولعبت دوراً بارزاً في الازدهار الحضاري الّذي عمّ الأندلس ، فنبغ منهـــن حانقـــات بمختلف العلوم والفنون ، فكان بعضهنّ حافظات للقرآن الكريم ، حيـــث ترفع كل واحدةٍ منهن قنديلاً فوق باب بيتها إشارة إلى أن هناك حافظةً في هـــذا البيـــت(25)، وفي مجال علم الحديث الشريف ، لا يقل عدد راويات الحديث عن عدد راويات القرآن الكريم ومنهن عابدة المدينة(26) ، والتي روت عن أنس بالمدينة المنورة عشرة آلاف حديث(27) .

كمـــا وساهمت المرأة الأندلسية في بناء صرح الأدب من شعر ومساجلات ومناقشـــات ومناظرات ، ولعلّ ذلك عائد إلى البيئة الأندلسية التي زخرت رحابها

بمـــباهج الحضـــارة والرقـــي ، فكان من الطبيعي أن تغري مظاهر التقدم النفوس فتنطلق إلى قول الشعر(28) .

ومـــن النســـاء الشـــواعر اللواتي نبغن في عصر الطوائف والموحدين : مهجة بنت التياني القرطبية (29) تأدبت على صاحبتها ولادة بنت المستكفي (30) الّتـــي تولت تعليمها ،و رغم تلك الصداقة التي ربطت بينهما إلا أنه وقع بينهما ما اقتضى أن تقول فيها :

ولاّدةٌ قد صِرْتِ ولادةً   منْ غير بَعْلٍ فُضِحَ الكاتِمُ
حَكَتْ لنا مريَمَ لكنّهُ   نخلةُ هذي ذكَرٌ قائــمُ (31) .

ومـــن النســـاء الشاعرات أيضاً نزهون بنت القلاعي الغرناطية (32) فقد هجاها أبو بكر المخزومي هجاءً مراً قائلاً :

على وَجْه نَزْهون من الحُسْن مَسحةٌ وإن كانَ قد أمسْى من الضَوْء عارياً
قوَاصدُ نَزْهون توارِكُ غَيرْهــــا   ومن قَصَدَ البحرَ استقلّ السواقيا(33) .

فردت عليه ثأراً لكرامتها المجروحة قائلةً :

إن كان ما قُلْتَ حَقّاً   من بعض عهد كريـــــمِ
فصار ذكري ذميماً   يُعزى إلى كلّ لـــــــومِ
وصرتُ أقبحَ شـــيءٍ   في صورة المخزومي (34) .

ومنهن أيضاً : أُم العلا بنت يوسف الحجازية (35) ، وغاية المنى (36) ، وغيرهن الكثير .

ولقـــد شعرت المرأة بأهميتها في المجتمع ، فسفرت للرجل تجادله و تجعل مـــن بيـــتها منتدى أدبياً يلتقي فيه الأدباء و الشعراء من مثل ولادة بنت المستكفي والّتي تقدمت في هذا المضمار على مدام روكامييه و مدام دورولان و غيرهن من صاحبات "الصالونات الأدبية " (37)

وكـــان المجـــتمع الأندلســـي يسمح للمرأة أن تمارس ما تشاء من الأنشطة الاجتماعـــية و الثقافـــية والدينـــية ، فقد كانت تلتقي الرجال في ساحات الدرس ، وكانـــت تخرج لزيارة المساجد والأسواق ومعها جواريهـــا وتبارينَ مع الرجال شـــعراً ونـــثراً . فكان من حق المرأة جارية كانت أم حره قبول الزواج أو رفضه

فهـــذه عائشـــة القرطبية (38) ، خطبها أحد الشعراء ممن لم ترضَ به فكتبت إليه قائلة :

أنا لبوَةَ لكنّني لا أرتضـــــــي نفسي مُناخاً طولَ دهري من أحدْ
و لو أنني أختارُ ذلك لم أُجب كلباً وكم غلَّقتُ سمعي عن أسدْ (39)

"واعــتماد" الرميكية زوجة المعتمد بن عباد كانت إحدى أديبات الأندلس ، فقــد اســتطاعت بذكائها وسرعة بديهتها من أن تجذب نظره إليها يوم أن أجازت شــطر بيــت له عجز عن إجازته " ابن عمار " شاعر الأندلس المشهور . فيحقد عليــها " ابــن عمار" حقداً كبيراً و هي تشاركه نفس الشعور و بقيت كذلك حتى تمكنت من أن توغر صدر المعتمد على وزيره "ابن عمار " حين هجاها بالقصيدة اللامــية والتّي يقال أن "ابن عمار " ذكر فيها ضآلة أصلها حتى قتل "ابن عمار " وضربه ضربة فلق بها رأسه(40) ، يقول :

تخيَّرتها من بنات الهجانِ رُميكية ما تُساوي عقــــــالاً
فجاءت بكل قصير العذارِ لئيم النجارين عماً وخـــــــالاً
قصار القدود ولكنـــــهم أقاموا عليها قروناً طوالاً(41) .

وكانــت المــرأة في عصر المرابطين تتمتع بشأن عظيم فكانت نداً للرجل تتمــتع بكافة حقوقها كالرجل فلم تكن تباشر أعمالها البيتية بنفسها ، بل يقوم العبيد بأدائها ، وكانت تشارك الرجل في مجلس القبيلة وتساهم في إدارة الأمور الهامة ، وكــان الابــن يُنسب أحيانا إلى أمه فيقولون : ابن فلانة ، ولا يقولون ابن فلان ، وكانــت تــقتــني أغلب الثروات ، فضلاً عن ذلك لم يعرف المجتمع عادة تعدد الزوجات وهذا إن دّل على شئ إنّما يدل على مدى سيطرة النساء على أزواجهن ، كما وكانت بعض النساء يشاركــن أزواجهن في الحكم فتعزل من تشاء وترقي من تشــاء ، كمــا ويستمع الرجل الى نصحها وإرشادها وخير مثال على ذلك زوجة أمــير المسلمين "يوسف بن تاشفين" زينب بنت إسحاق النفزاوية " فقد أمرت بعزل القاضــي " زرهــون المعروف بابن خلوف "عندما علمت أنَّه مدح السيدة " حواء زوجــة سيد بن أبي بكر" مادحــاً إياها بالجمال والكمال فلم ترجعه إلا بعد أن ذمّ السيدة حواء ببيتين قالهما ارتجالاً(42) .

وممن كان لهن نفوذ من النساء (قمر) أم ولد أمير المسلمين (علي بن تاشفين) الذي أمر بعزل ابنه ، الأكبر تاشفين عن ولاية العهد ، وعيّن ابنها سَيْرَ بدلاً منه ، فقد كان أمير المسلمين عظيم الإيثار والإرضاء لها(43) .

وقد بلغ من نفوذ بعض النساء المرابطيات أن قصدهنّ الشعراء يمدحون ويتقربون ، ويلتمسون الشفاعات عندهنّ ، ومن تأثيرهن على أزواجهن أنهم بنوا لهن القصور المنيفة والمدن المسماة على أسمائهن ، كالزهراء التي بناها (عبد الرحمن الناصر) على اسم خطيبته وأنفق في ذلك أموالاً لا يعلمها إلا الله وهذا هو المعتمد بن عباد يُنظم أبياتاً شعرية يبدأ كل بيت منها بحرف من حروف اسمها ، وهذا يدل على سطوة النساء ونفوذهن في ذلك المجتمع(44) .

وهكذا فقد برزت المرأة في المجتمع الأندلسيّ ، وقد ظهر دورها جلياً في زمن الموحدين ، حيث استأثرت النساء في أواخره بشؤون التولية والعزل حتى كانت حول كل امرأة من المشهورات حاشية تدبر المكائد وتستأثر بالوظائف والمنافع ، وخاتمة القول إن أثر النساء ونفوذهن في المجتمع الأندلسيّ لم تقتصر في تتبع هذا الأثر على أشخاص النساء وحدهن ، فإنما يظهر أثر الجنس في غيره ويفتش عن سحر المرأة وتأثيرها في عواطف الرجل وانفعالاته ، فهو يختزن من ذكرياتها وايحاءاتها في عقلة الباطن ما أمكن ويفعل بوحيها ما يفعل طلباً للتفاخر والمباهاة ، حتى لكأن المرأة تحرك المجتمع وتُسيرّ العالم .

1 . 3 : المواقف الإيجابية بين الزوج والزوجة.

1 . 3 1 : حب الزوج لزوجه :

احتلت الزوجة في النظام الأسري الذي بناه العرب في الأندلس مكانةً مرموقةً استمدّتها من نصرة الإسلام للزّوجة، ورفع من شانها، وميزّ مركزها وقرنها بالرجل (45)، يقول تعالى " يا أيّها النّاسّ اتقّوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدةً وخَلَقَ منها زَوجَها، وبثّ منهما رِجالاً كثيراً ونساءً " (46).

وقوله تعالى " هو الّذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وجعل منها زوجها" ، (47) فالمرأة والرجل متساويان في المنشأ، فلا ينبغي أن يتباينا ، فقد حظيت بكامل حقوقها ومن

جملـــتها حق الأهلية، وهي الحقوق المدنية من تملك، وتصرف بالممتلكات ، وإنفاذ للعهـــود وحـــق المـــيراث ؛ فقد سمح لها الإسلام أن ترث أبويها أو زوجها، أو أبناءها، وهكذا يُكرم الإسلام الزوجة من حيث هي كائنٌ حي يتمتع بسائر الصفات الإنسانية مثل الرجل.

ولما ظهر الإسلام وضع أحكاماً للزواج والطلاق ، وتعدد الزوجات، بنظرةٍ قائمةٍ على الرّحمة، والمودة ، وإلفة بين روحين، وأُنساً يسكن إليه الزوجات، فهذه النظرات حفظت للزوجة كرامتها وجعلتها مثابة الجانب، مقابل ذلك واجبات معينة تؤديها تجاه زوجها، فمن حق الزوج على زوجته الطاعة فهو قوام عليها يتصرف فـــي أمورهـــا، ويدبر شؤونها، ومن حقه عليها بأن تُطيعه في نفسها وأن لا تهجر فراشــــه، ومن حقه أن تكون أمينة على روحه وولده وماله وأن تحفظ نفسها وبيتها فـــي غيبـــته، كمـــا ويجب عليها الاحترام المتبادل بينهما، ومن حقه عليها حسن التدبـــير، وعدم الإسراف، والسعي وراء الكماليات، حتى يسير ركب هذه الأُسرة بيسر وسهولة بعيداً عن العواصف التي تهدد دعائمه. (48).

فالـــرجل والمـــرأة يؤلفان شطري الإنسانية ، يكملان الواحد منهما الآخر ولكن أُعدّ كلٌ منهما لمهام معينة وهذا وجه اختلافهما.

ولقـــد سمح الإسلام بتزوج المسلم بالكتابية وبالأمّة. قال سبحانه وتعالى في التزويج بالمحصنات من المؤمنات ومن الكتابيات " اليوم أُحلّ لكم الَّطيباتُ، وطعامٌ الذَّيـــنَ أُتـــوا الكـــتاب حـــلٌ لكـــمُ وطعـــامُكمُ حلٍّ لهم والمحصناتُ من المؤمناتِ والمُحصـــنَات مـــن الّذينّ أوتوُا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهُـــنّ" (49). وقـــال تعـــالى فـــي تـــزويج الإمـــاء " فانكحوهنَّ بإذن أهلهنَّ وآتوهنَّ أجورهنَّ بالمعـــروف"(50). وعلـــيه فقـــد وجدنـــا الرجل العربي المسلم قد ارتبط بالمرأة الأندلســـية ســـواء أكانـــت نصرانية كتابية، حُرة أم أمَة، ارتباطاً وثيقاً عن طريق الزواج.

ونقل لنا أحد المؤرخين الأندلسيين نص عقد زواج تشترط فيه الزوجة على الـــزوج بـــأن لا يـــتزوج امرأة أُخرى ولا يتسرى بجارية، وأن يكون بيدها حق

الطلاق متى شاءت. (51) ، فربما يدل هذا النوع من المكاتبات على شعور المرأة بمكانتها وأنها كفـؤ للرجل(52) .

فقـد كانـت الزوجة حريصة على انتزاع حب زوجها وإعجابه بها ليزداد تعلقـاً بها، إلاَّ أنَّ المجتمع بنظمه وعاداته وتقاليده، لا يجعل مهمتها سهلة يسيرة ، فمن حق الرجل أن يحب نساء أُخريات إذا توافرت لديه الإمكانيّة المادية، فقد سمح له الإسلام أن يتزوج بأربع نساء شرط العدل بينهنَّ قدر الاستطاعة (53).

علـى أن نظام تعدد الزوجات مألوف عند العرب، وكان أسلافنا يمارسونه قـبل الإسلام، وظلوا يمارسونه على وفق التشريع بعد ظهوره. وازداد شيوعاً بعد دخول العرب الفاتحين إلى الأندلس علاوة على احترام المرأة، والرفق بالضعفاء ، فالبنسـبة لعلـيّة القـوم، والأثرياء، فإن من الممكن القول بأن تعدد الزوجات عن طريق اتخاذ الجواري للمتعة بجانب الزوجة الأصلية أصبح أمراً مألوفاً ، على أن الـزوجة الأصلية لا ترى في وجود عددٍ من الجواري بجانبها انتقاصاً من قدرها وإهانة لها(54) .

فقد سعى الأندلسيّ منذ أن استقرت به الحال في الأرض الجديدة إلى البحث عـن مسـتقرٍ يأوى إليه ، ويلتمس فيه الطمأنينة والراحة الجسديّة، فوجد ذلك في المـرأة التـي أحب أن يسكن إليها، ويختارها حبيبة وزوجة له .ومنذ وقت مـبكر من حياة العرب في الأندلس وصلت إلينا أشعار تنمُّ عن تلك الصلة الحميمة بين الزوج وزوجته، ومشاركة أحدهما الآخر في السراء والضراء، وتحمل نوازل الدهـر سويّة وعلى الرغم من قلة هذه الأشعار إلا أنها تبين حالة الزوج ومكانته وصلته بزوجته وأبنائه.

وتـتجلى القـيمة الإنسانيّة للزوجة في أجمل صورها : بحيث تشكل نصيباً كبـيراً مـن الصـورة الكلية للمرأة الأندلسية ، فكانت العلاقة بين الزوج وزوجه علاقـة تلاحـم ووئـام، وأُلفة لا تشوبها، أيَّ شائبة (55) ، وخير من يصور تلك العلاقة ابن عباد في حديثه عن زوجته اعتماد الرميكية. (56) يقول :

فما حلّ خِلٌ من فؤاد خليله   محلً اعتماد من فؤاد محمـدِ.

وقال في موضع آخر :

يا ظبية لُطفتْ مني منازلهـــــا   فالقلبُ منهنَّ والأحداق والكبـــدُ
حُبيّ لك النّاسُ طُراً يشهدون بـــه   وأنتِ شاهدتي إن يتّهم حسَـــدُ
لا يعزُبُ الوصلُ فيما بيننا أبـــداً   لو كنتِ واجدةً مثل الّذي أجـــدُ (57).

وفـــي شعر المعتمد بن عباد ما يصوره أباً وزوجاً قبل أن يكون ملكاً على مملكـــة إشبيلية، أكبر دول الطوائف، فشعره ناطقٌ بتلك الأحاسيس والمشاعر تجاه زوجـــته (اعـــتماد الرميكـــية) ، ورســـم من خلاله صورة الزوج الوفي لزوجته والمخلص لها، مصوّراً الظنون الّتي تأخذها مخافة أن تفقد زوجها، لكن واجبه هو تبـــيان وفائـــه وإخلاصه لها ، فحبها ساكنٌ بين جوانحه لا مبدّل له، ولا شك فيه، قائلاً :

بَكرَتْ تلُومُ وفي الفؤادِ بلابـــلُ   سَفَهاً وهل يثنى الحلَيمَ الجاهـــــلُ
يا هذه، كُفِّي، فإني عاشـــقٌ   من لا يَرُدُّ هواي عنها عـــــــاذلُ
حب اعتمادِ في الجوانحِ ساكنٌ   لا القلبُ ضاق بهِ ، ولا هو راحـــلُ
يا ظبيةً، سَلبت فؤاد محمـــدٍ   أو لم يروعك الهزبرُ الباســـــــلُ
من شكَّ أنيَّ هائمٌ بكِ مـــغرمٌ   فعلى هواكِ له عليَّ دلائـــــــــلُ
لون كستهُ صفرةٌ ومدَامـــعٌ   هطلت سحائبُها ، وجسم ناحـــلُ(58) .

وفي موضعٍ آخر أرادت (اعتماد الرميكية) أن تمتحن حب المعتمد لها فأوهمتهُ بالصد عنها، والسأم منها وهجرانها، فما كان منه إلاّ أن يرد عليها قائلاً :

تظنُّ بنا أُمُّ الرّبيع سآمـــــــةً   ألا غفر الرّحمنُ ذنباً تُواقعـــــــهُ
أأهجرُ ظبياً في ضلوعي كِناسُهُ   وبدرَ تمام في جُفوني مَطالعـــــهُ
وروضةَ حسن أجتنيها وبارداً   من الظَّلم، لم تُحظر عليَّ شرائـــعهُ
إذا عدِمتْ، كفّى نوالاً تُفيْضـــه   على مُعتفيها ، أو عَدَواً تُقارعـــهُ(59) .

ويصوّر لنا المعتمد بن عباد شدة حبه وتعلقه بزوجتهِ الرميكيةِ، من خلال رسمَ لوحة فنية يمزج فيها بينها وبين الطبيعة، فهي بالنسبة له القمر، والغزال ،

وصفوة البشر، كما وأنها آسرة قلبه بعيونها ولحظها الفاتر، فيفديها بسمعه، وبصره، وقلبه (60)، قائلاً :

يا صَفوتي من البَشَـــرْ	يا كوكباً ، بل يا قَـــمَـــرْ
يا غُصناً، إذا مشـــى	يا رشأ إذا نَظَـــرْ
يا نفس الرَّوضة قـــد	هبّت لها ريحُ سَحَـــرْ
يا ربَّة اللّحظ الّـــذي	شَدَّ وثاقاً إذْ فَتَـــرْ
متى أُداوي ، يا فِـــدآ	كِ السّمعُ منّي والبصَـــرْ
ما بفؤادي من جـــوىً	بما بفيك من خَصَـــرْ (61) .

ومضى المعتمد على حاله مع زوجه (اعتماد) مخلصاً ومحباً لها فلم يُقصر في شيءٍ يجلب إلى نفسها السرور، وقد بلغ من إعزازه إياها أن نظَّمَ أبياتاً شعرية يبدأ كلٌ منها بحرفٍ من حروفِ اسمها (62)، قائلاً :

أغائبةُ الشّخص عن ناظـري	وحاضرةً في صميم الفـــؤادِ
عليكِ سلامٌ بقدر الشَّجـــو	ن، ودمع الشُؤون وقدر السُّهـادِ
تملّكتِ منّي صَعْبَ الــمرا	م، وصادَفْتَ وُدّي سَهْلَ القيـادِ
مُرادي لُقياك في كلِّ حـين	فياليتَ أنيَّ أُعطى مُـــرادي
أقيمي على العهدِ ما بينـنا	ولا تَستَحيلي لِطُول البـــعادِ
دَسَسْتُ اسمَك الحُلْوَ في طَيِّـة	وألّفت فيه حروف "اعتمـــادِ" (63).

وقـد ذهب المعتمد بن عباد إلى أبعدِ من ذلك في إرضاء نزواتها فقد رأت (اعـتماد) وهي تطل من نافذة غرفتها على الشارعِ فتيات من أهل القرى عابرات يبعن بعض ما جلبنَّه من قُراهُنَّ في المدينةِ، ويكشفن عن أقدامهنِ ويخضن حافيات فـي الطينِ ، فتمنت عليه أن تسيرَ في الطينِ برجليها هي وجواريها، فأمر المعتمد بالعنـبر والمسك والكافور وماء الورد وصنعوا من هذه الأخلاط طيناً، وخاضت فيه مع جواريها(64) .

كما ويحكى أنها رأت يوماً الثلج يتساقط في قرطبةٍ فتمنت على المعتمدِ أن يهيـئ لهـا مثل ذلك الثلج بشكلٍ دائمٍ، فأمر بأن تُزرع غابة من شجرِ اللوزِ فوق

هضاب قرطبة المقابلة لقصرها، حتّى تستمتع بمشاهدة تفتيح براعم اللوز البيضاء في أولِ الربيع ، وحتى يستمر منظر النوار الأبيض بعد انقطاع الثلج. (65).

ويُقــال : إنَه لما خُلع وكانت تتكلم معه جرى بينهما ما جرى بين الزوجين فقالــت له:" والله مــا رأيت منك خيراً، فقال لها: ولا يوم الطين؟ تذكيراً لها بهذا اليوم الذي أنفق فيه من الأموال ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى، فاستحييت وسكتت"(66)

واصطبح المعتمد بن عباد يوم غيم مع أُمِّ الربيع (زوجته) واحتجب عن الندماء، فكتب إليه ابن عمار:

تجهم وجهُ الأفقِ واعتلت النفسُ ... لأن لم تَلُحْ للعينِ أنتَ ولا الشمسُ
فإن كان هذا منكمُا عن تــوافقٍ ... وضمكَّمُا أُنسُ فيهنيكما الأُنسُ (67) .

فأجابه المعتمد بقوله :

خليلَّي قُولا : هل عليَّ ملامــةُ ... إذا لم أغبْ إلاَّ لتحضرني الشمــسُ
وأُهدي بأكواسِ الُمدام كواكبــاً ... إذا أبْصَرَتَهَا العينُ هشَّت لها النَّفسُ
سلامُ، سلامُ ، أنتما الأُنسُ كلُّه ... وإن غبتما ، أُمُّ الربيعِ هي الأنــسُ(68).

وفكــرّ المعــتمد وقــد ابتعد عن إشبيلية على رأس حملة حربية في إحدى نسائه، فكتب إليها يقول لها كم يتمنى لو أنه قريب منها (69) :

فقبلتُ ما تحت اللّثام من اللَّــمى ... وعانقتُ ما فوق الوشاح من العـــقدِ
أغائبةً عنّي وحاضرةً معـــي ... لئن غبت عن عيني ، فإنَّك في كبْدي
أقيمي على العهد الّذي كان بيننَا ... فإنّي على ما تعلمين من العـــهدِ (70).

وقــد تعلق الرجل الأندلسيّ بزوجته أيَّما تعلق، حتّى أنه لا يهنئ بالعيشِ إلاَّ بقربها منه، فيقول ابن حزم:

فتاةٌ عدُمت العيش إلاَّ بقربها ... فهل في ابتغاءِ العيشِ ويحك من حرجِ(71).

ولأبــي حــيان الأندلسيّ قصيدة يتجلى فيها حبه لزوجة (أَمّ حيان) فقد بث لوعته في أشعاره وتحدث عنها وجنَّ بها يقول :

جُننتُ بها سوداء لونٍ وناظـــرٍ ... ويا طالما كـــان الجنونُ بسوداءِ
وجدتُ بها بَرْدَ النعيمِ وإنْ يكـــن ... فؤادي منها فــي جحيـــمِ ولأواءِ
شاهَدْتُ معنى الحسن فيها مُجسّــداً ... فأعجبْ لمعنى صار جَوْهَر أشيـــاءِ

أطاعنةً مـــن قَدهّـــا بمثـــقف   أحَنْتَ وما أغنى الفتى لبسُ حَصْـداءِ
لقد طعنتْ والـــقلبُ ساهٍ فما دَرَى   أبا لقدرٌ منها أم بصعدةٍ سمراءِ (72).

وقــد كتــب أبــو حيان أبياتاً من الشعر عندما حجّت زوجته وابنته وابنها لــزيارة بيــت الله الحرام، مُعبراً عن شوقهِ إليهم وفرحه بالبشير الّذي نادى بقرب وصولهم قائلاً :

خلفّوني وحدي غريباً فريـــداً   كُلَّ حينٍ يشوقُني التذكـــارُ
فارقاني شَهْراً وشَهْراً وشهـــراً   ما لقلبي على الفراقِ اصْطبارُ
يا نسيمَ الصَّبا ألا أحْمِلُ سلامي   للأحبّاء حيثُ شطَّ الـــمزارُ
قلتُ للنفسِ وهي ذاتُ اضطّرابِ   استكنيّ فقد تقضّى الســـفّارُ
قد أتانا مُبشّرٌ بالـــــتداني   وغداً تجمعُ الحبيبَ الديارُ(73).

ولعــل لحظــات الوداع وما تحمله في ثناياها من صورِ المحبةِ والأُلفة بين الزوجيــن وحرص الزوجة على أن لا يذهب ويتركهم للوحدة والأشجان، كلٌ ذلك إنما يؤكد القيمة الإنسانيّة للمرأة وهذا ما صوره لنا ابن درّاج القسطلي قائلاً :

ولما تدانتْ للوداعِ وقد هَفَـــا   بصبري منها أنّةٌ وزفيـــرُ
تناشدُني عهد المودّة والهـــوى   وفي المهدِ مبغومُ النّداءِ صغيرُ
عينيٌّ بمرجوعِ الخطاب ولفـظةً   بموقعِ أهواءِ النفوسِ خبـــيرُ
تبوّأ ممنوع القلوب ومهّــــدتْ   له أذرعٌ محفوفةٌ ونحـــورُ
فكلُ مُفدّاهِ الترائبِ مرضـــعٌ   وكل مُحياه المحاسن طـــيرُ
عصيتُ شفيع النفس فيه وقادني   رواحٌ لتدآب السُّرى وبـــكورُ
لئن ودعت مني غيوراً فإننـــي   على عزمتي من شجوها لغيورُ (74).

فالشّاعر يُناجي زوجته مُبرراً لها سفره بشتى الوسائل ، ومبيناً لها الأسباب الّتــي أرغمــته على الاغتراب . ومن ثم ينتقل ليصور لنا موقف الوداع الحزين، بيــنه وبيــن زوجــته وولده تصويراً حزيناً، إذ الألم يعتصر قلب الزوجة، فحين اقتربــت مــنه لــتودعه صدرت عنها زفرات حارقة، وأنات ملتهبة، فلم يستطع الشــاعر أن يتمالك نفسه ولم يستطع السيطرة على مشاعره، فصدرت عنه آهات وتأوهات ، ثم ذهبت زوجته تستحلفه باللهِ وبكل غالٍ جمع بينهما من محبةٍ ووفاءٍ،

ألا يذهب ويتركهم للوحدة والأشجان، فلم تجد توسلات الزوجة ولا نظرات الطفل لأبيه (75).

بهذا نجح الشاعر في تصوير المنظر الحزين بدقةٍ متناهيةٍ ظاهرياً وداخلياً، حسياً ونفسياً، هـذا المشهد لم تكن نهايته سعيدة كما رأينا ، بل أتت مؤلمة فقد اجتاح الزوج الشوق، وكادت تطير الزوجة فزعاً من هول الموقف ساعة الوداع.

ولـم يـنسَ الشاعر (وهو يمدح) أهله الذين فارقهم ، فذكر حالهم ساعة الـوداع حيـث تبكـي الزوجة بكاءً مراً وبدموع هطالةٍ كالجمانِ، فيؤلمه منظرها ويحزنـه شأنهـا (76) ، قائلاً :

وللهِ عزمي يَوْمَ ودعتُ نحـوه نفوساً شَجْاَني بثها وشجاهـا

وربة خدرٍ كالجُمانِ دموعـها عزيزٌ على قلبي شطوط نواها(77) .

ولا يغيب خـيال الزوجة عن الشاعر وهو في غربته، فيصف حاله وهو يجاهد النفس بالصبر على البعد، جهاداً مريراً ، فيصور ابن درّاج لوعته ومعاناته بالبعدِ عن زوجته أُمّ أولاده قائلاً :

أُجَاهِدُ الصبر عنها وهي غافلـةٌ عن لوعةٍ في الحشا منها تُناجيني

يا هذه كيف أعطِي الشوق طاعتهُ وهذه طاعة المنـصور تدعوني (78).

ومـن صـور حـب الزوج لزوجته أن يهنئها زوجها بالسلامة بعد الولادة والإنجـاب (79) ، فكتب عبيد الله بن محمد الرشيد(80)، أبياتاً يهنئ زوجته فيها بالسلامة بعد أن ولدت له ابنه المُعلي، يقول :

أُهنيكِ بل نفسي أهنئ فإننـي بلغتُ الّذي كان اقتراحي على الدهرِ

خلاصك من أيدي المنون وغرةٌ بدت للمُعلّى مثل دائرةِ البدرِ(81).

ومن صور وفاء وحب الزوج لزوجته الّتي لم تبخل في إسعاده، أن يعزف الزوج عن مُتع الدنيا وملذاتها بعد وفاتها إخلاصاً وحباً ومودة لها. وهذا ما ترجمه الشاعر أبو محمد بن القبطرنة(82) ، الذي عبر عن الحرمانِ الّذي عاشه وألزم به نفسه بعد وفاة زوجته يقول :

معاذ الله أن أسلو بـبدرٍ وأن أصبو إلى كأسٍ وخمرِ

ولا لأراكةٍ نهضت بحقبٍ ولا لروادفٍ وهضيم خصرِ

ولا تفاحةٍ طلعت بخـــدٍ ولا رمانة نبتت بصـــــدرِ
وأن ألهو من الدُنيا بشيءٍ وأُمّ الفضلِ يا أسفي بقبـــرِ (83).

وقد كان الزوج الأندلسيّ حريصاً على زوجته، شديد الحذر والخوف عليها، فـنجد أحـد الشعراء يُوصي زوجته كيف تمشي في الطريق كي لا تقع فريسـة للمعتدين (84) ، يقول الشّاعر أبو بكر الأبيض (85) ، مُوصياً زوجته :

كوني على حذرٍ فإن عُداتنا يترقبونك بالمكانِ البلقـــعِ
فإذا لقيتِ سُراتهم فتقّنعـي حذراً على خلفِ الهمام الأروعِ
لفُيّ بناتك بالرداءِ وسلّمي تكفي الكريم إشارةٌ بالأُصبعِ(86).

فـإذا ألمت بالرجل مصيبة أول ما يتذكر زوجته ، فهذا الرمادي يستحضر طـيف زوجـته عندما أُودع في السجن، فبسبب بعده عنها ذرف الدموع من عينه وألهب نار الوجد قلبه، وكذلك الأمر بالنسبَة لزوجته فقد غاص الأسى في عينيها ، فيصـور لـنا الرمادي حالة الأسى الّتي ألمت به وبزوجه من خلالِ حوارٍ يجريه بينهما ، فتسأله أمل اللقاء بعد التفرقِ، فيجيبها لستُ أدري ، ومن ثم يطلب منها أن تكف عن البكاءِ خوفاً عليها(87)، يقول :

أعيني إن كانت لدمعي فضلـــةٌ تثبّت حبي ساعةً فتدفقـــــي
فلو ساعدت قالت أمن قلّة الأسى تنفت دموعي أم من البحرِ تستقي
قالت تظن الّدهر يَجمع بيننـــا فقلتُ لها من لي بظنٌ محقــقِ
لكنّني فيما زجرتُ بمقلــــةٍ زجرتُ اجتماع الشملِ بعد التفرقِ
قد كانت الأشفار في مثل بُعدنـا فلما التقت بالطيفِ قالت سنلتقـي
أباكيةٌ يوماً ولم يأتِ وقتُـــهُ سَينفذُ قبل اليومِ دَمعُكِ فارفقي(88).

ونظـراً لهـذه المكانــة الّتي تبوأتها الزوجة ، فقد أصح بعضهنّ مضرباً للأمثالِ، وقد أورد ابن بسام بيتين من الشعرِ تضمنت تلك المكانة قائلاً :

أتيت بمنطق العرب الأصيلِ وكان بقدر ما عانيتُ قيلـــى
فعارضُه كلامٌ كان فيــــه بمنزلة النساءِ من البُعولِ (89).

فلـم تكن الزوجة شريكة للحياة فحسب وإنما بدت أليفاً مؤنساً للزوج تسد عليه خلة الخليل يقول المعتمد بن عباد :

سلامٌ سلامٌ أنتما الأُنسُ كُلّه وإن غبتما أُمُّ الربيعِ هي الأُنسِ (90).

1 . 3 . 2 : حب الزوجة زوجها وحرصها على حياته :

إنَّ الواجبات المفروضة على الزوجة لا تقل شأناً عن الواجبات المفروضة علـــى الـــرجل هذا إلى أنَّ كلَّ ما يعتبر حقاً للرجل على الزوجة إنْ هو في واقع الأمرِ إلاَّ واجباً تلتزم بأدائه على الوجه الأكمل فالحقوق والواجبات متبادلة بينهما، فلـــم يعد الرجل السيد المسؤول وحده ، ولكنَّ زوجته تشاركه في كافة المسؤوليات والإلـــتزامات وتـــتعاون معـــه فـــي توجـــيه الأُســـرة وفقاً لمبلغ ثقافتها ومـــدى اســـتعـــدادها(91) ، وكثـــيراً ما كانت الزوجة الأندلسيّة تقابل وفاء زوجها بوفاءٍ ممـــاثل، تعلقـــاً أيضاً بالراحلِ الكريمِ ، فقد ذكر الإمام ابن حزم عن عاتكة زوجة أخـــيه أبـــي بكـــر، وكيف أنحلها شدة كلفها به، فلما عاجلته المنية وهو في أغض عيشـــه، فبلغ من أسف زوجته عليه أنْ باتت معه في دثارٍ واحدٍ ليلة مات، وكانت تقول بعد وفاة زوجها :

" مـــا يقوى صبري ويمسك رقعي في الدنيا ساعة واحدة، بعد وفاته إلاَّ سروري، وتيقنـــي أنّـــه لا يضمه وامرأة مضجع أبداً ، فقد أمنتُ هذا الّذي ما كنت أتخوف غيره ، وأعظم آمالي اليوم اللحاق به " (92).

وقـــد كانت الزوجة تشارك زوجها آراءه كما تشاركه في إصدارِ الأحكامِ ، فحكـــي " إن بعـــض قضاة لوشة كانت له زوجة فاقت العلماء في معرفة الأحكام والـــنوازل، وكان في مجلس قضاته تنزل به النوازل ، فيقوم إليها فتشير عليه بما يحكم به" (93) ، فكتب إليه بعض أصحابه مداعباً بقوله:

بلوشة قاضٍ له زوجةٌ وأحكامها في الورى ماضيه
فيا ليته لم يكن قاضياً ويا ليتهـــا كانت القاضيـــه (94).

ويتبين أنها صارمة في أحكامها ، فقد كتبت بعد اطلاعها بديهة :

هو شيخ ســـوءٍ مُزدري لـــــه شـــــبوب عاصـــــية
كلا لئن لـــم ينتـــه لنســـــفعنا بالناصـــــيه (95).

وكانت الزوجة تألم لمرض زوجها وتحاول أن تساعده ، وأن تقدم له كل ما تستطيع أن تقدمه وفاءً لزوجها ، فهذه اعتماد الرميكية قالت للمعتمد وقد مرض في أسره : " مالنا قدرة على مرضاتك في مرضاتك " (96). أي ليس لها قدرة على إبلاغ المعتمد الرضا في مرضه أو أمراضه ، فقد تحملت معه عذاب النفي وحالة الفقــر والحــرمان، فظلت اعتماد الزوجة المخلصة لزوجها، العطوف على بيتها وأولادهـــا فـــي ظـــروف حياتهم المختلفة ، من العز والمكانة العالية الرفيعة، إلى الأسرِ وحالة الفقر والحرمان في السنوات الأخيرة من حياة المعتمد والأسرة أيضاً، فلما خُلع المعتمد وسُجن بأغمات قالت له يا سيدي لقد هُنّا هذا ، فقال :

قالت : لقد هُنّا هنـــــا	مولاي، أين جاهُنا
قلت لها: إلى هُنـــــا	صيرَّنا إلهُنَــــا (97).

1 . 3 . 3 : رثاء الزوج زوجه:

تكاد تكون صورة الزوجة في شعر الرثاء أوضح ما تكون، وتظهر فيه مفاهيم وقيم ومثل حاولت أن تحرص عليها وتصونها، كالأنسجام والتآلف الروحي وحُسن المعاشرة وطيبها، وطهارة العرض، وأصالة العرق.

ولعل رثاء الزوجة يعبر عن القيمة الإنسانيّة لها، ذلك أن الشاعر يعبر عن معانـــاةٍ حقيقيةٍ تعتلج نفسه، وهو ما يسمى بـــ (صدق التجربة الشعرية). وقد عبر عـــن هذا الصدق أعرابي عندما سأله الأصمعي: ما بال المراثي أشرف أشعاركم؟ فقـــال : لأنا نقولها وقلوبنا محترقة، وهذا وثيق الصلة بالرثاء الذاتي ،إذ إن أحسن الـــرثاء في الشعر الأندلسي ما كان رثاءً ذاتياً، كأن تكون المرثية زوجة أو أماً أو أخـــتاً أو بنـــتاً (98) ، فماذا ننتظر من شاعرٍ فقد أُمه أو زوجه أو أُخته، غير أن يصـــرخ وينتحـــب ويصاب بالذهول ، وينظم شعراً يفيض بالألم والحزن فهذا ابن حمديس الشاعر يصور لنا منزلة الزوجة في كنف زوجها، ومكانتها في الأسرة ، وعند الأولاد بلونٍ ربما لم يطرقه المشارقة وهو رثاء الزوجة على لسان أولادها، فالشـــاعر الـــزوج لم يستطع الإعراب عن شعوره تجاه ذلك الحدث الجلل، فراح يرثيها على لسان ولديها ربما استحياءً أو مخافةً من لوم اللائم واصفاً برهاً بقوله :

لم أقُلْ والأسى يُصدقُ قولي	جمدت عبرتي فلذت بحلمي
ولو آني كففتُ دمعي عليها	عقّني برُّها فأصبح خصمي
كنت أخشى عليك ما أنت فيه	لو تخيلتُ في مصابك همّي(99).

وتصـــادفنا صورة العفاف والتقوى والدعوات المستجابة النابعة من إيمانها بالله يقول :

وعفاف لو كان في الأرضِ عادت	كلٌّ عظم من الدفينِ ولحمِ
وصيامٌ بكلِّ مطلـــــع شمـــــسٍ	وقيامٌ بكلِّ مطلع نجـــــمِ
ولسانٌ دعاؤه مســـــــــــتجابٌ	لي أودعتْهُ الرغامَ برغمي(100).

فقد تميزت هذه الزوجة بفضائل عدة أهمها تبنيّها ورعايتها للأيتام وكرمها وإحسانها الّذي شمل كلَّ الناس صغاراً وكباراً، وصدقتها الجارية. إن هذه الفضائل قـدْ تدل على رقي المرأة العقلى من ناحية، وعلى مشاركتها الرجل في تصرفاته مـــن ناحـــية أُخرى، وقلما نجد مثل هذه الصفات عند غيرها من النساء في الأمم الأُخرى. (101) يقول :

كم تكلفْتِ من كبيرة سنٍّ	وتبنيت من صغيرةُ يُتْمِ
فأضافت يداك من صدقاتٍ	كان يُحيا بهن مَيتُ عُدْمِ (102).

ويؤكــد ابــن حمديس حُسنَ أخلاقها، واتصافها بالعفة وصون العرضِ والشرفِ ، وبُعدهـــا عمـــا يكسبها الذمّ، فاستحقت أن تكون في جنة الخلد، تفوز بنعيم الآخرة قائلاً :

تكون بين الأُناسُ عُمُركِ حمداً	قد تبرّأْتِ فيه مـــــن كلِّ ذمِّ
وأنتِ في جنةٍ وروضِ نعيمِ	لم يُسمْ أرضَها السحابُ بوَسْمِ(103).

وقـــد يجسد رثاء الزوجة على لسان ولديها، ما تحمله من صلات بأبنائها، ونظـــرة المجـــتمع إليها والعلاقة القائمة بينها وبين أهلها وأقربائها فهي أم وزوجة ومربية للأولاد. يقول :

لو بكـــى ناظري بصوب دماءِ	مـــــا وفي في الأسى بحسرةِ أميِّ
من توسدتُ في خشايـــا حشاها	وارتدى اللحمَ فيه والجلدَ عظمـــــي

وضعتني كرهـــاً كما حملتني وجرى ثديُها بشربي وطُعمـــــي
شرح الله صدرهـــا لي فأشهي ما إليها ،أحضانُ جسمي وضمــي
بحنان كأنهــــا في رضاعـــي أم سقب دّرتْ عليــــــه بشمٍّ
يابـــن أُمي إني بحكمك أبكـي فَقْدَ أُمي الفداة ما بكِ بحُكــــمي
لم أقُل والأسى يُصدّقُ قولـــي جمدت عبرتي فلذت بحلمــــي
ولو آني كففت دمعي عليهـــا عقني برها فأصـــبح خصمــي
إلى أن يقول :
فسقى التربة التي هي فيها عارضٌ منه رحمةُ الله تهمي
ولبستُ العزاء يا خير فرع قد بكى حسرةً على خير جذم (104).

فتتجلى في هذه القصيدة روح الشّاعر الدينية، ويستوحي من الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً، ووضعته كرهاً، وحملـــه وفصاله ثلاثون شهراً "(105) وقوله تعالى " ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقـــة مضـــغة، فخلقنا المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين" (106).

ويكـــرر الشّـــاعر كلمات توحي بالحزن والتفجع وتجيش بالعاطفة كالأسى وجمـــود العبرة ، والنياح والصراخ والتفجع والهم، فالشاعر في قصيدته هذه يحلق في جو قدسي (107) .

وقد تمتزج مشاعر الحب ومشاعر الحزن فنجد القصيدة في الرثاء والغزل معـــاً، فـــتظهر صورة جمال الزوجة، والإشادة بمحاسنها من خلال التفجع عليها، ورثائـــه لهـــا، فيبكي من زوجته (جوهرة) والتي غرقت في البحر " رشاقة قدها، وروضة حسنها، وزهرة جمالها، ثم يشتاقها ويأسى لفراقها ، ويعز عليه أن يواري الـــبحر عـــنه جمال ثغرها، وسحر عيونها وفتنة وجهها" (108) ، وعندما برح به الحزن تمنى أن لو كان لها قبر يعرفه ليعانقه شوقاً ويفديه بأعز ما لديه ، يقول:

أيا رشاقة غُصن البان ما هَصَـــرك ويا تألفَ نظمِ الشملِ مَنْ نَثَــــرِكْ
ويا شؤوني، وشأني كله حـــــزنٌ مضني يواقيت دمعي واحبسي دُررِكْ
ما خلتُ قلبي وتبريحــــــــي يُقلبُه إلاّ جناح قطاةٍ في اعتقالِ شـــــرِكْ

لا صبرَ عنك وكيف الصبرُ عـــنكِ طواك عن عيني الموجِ الَّذي نشــرك
هلا، وروضةُ ذاك الحسنِ ناضــرةً لا تلحظُ العينُ فيها ذابلاً زَهَـــرك
أماتكِ البحرُ ذو التيار من حســـدٍ لمّا درى الدرُّ منه حاسداً ثــغرك
أيُّ الثلاثة أبكي فقده بـــــدمٍ عميم خُلقكِ أم معناكِ أم صـــغرك
ما كنت عنك مُطيلاً بالهوى ســفري وقد أطلتُ لحيتي في البلى سفــرك
هل واصلي منكِ إلا طيفُ ميـــتةٍ عليكِ لو كنتُ فيه عالماً خبـــرك
أُعانقُ القبر شوقاً وهو مشتمـــلٌ جنادلاً وتراباً لاصقاً بــــشرك
ودَدْتُ يا نُورَ عيني لو وقَى بـصري ما كدَّر العيش إلا شُرْبُها كَـــدَرك
هلا كففت أُجاجاً منك عـــن أشرٍ إني لأعجبُ منهُ كيف ما سَحَرك (109).

فالشّـاعرُ يسـتمد معاني الغزل، ويذكر من ألفاظه غصن البان، وروضة الحســن، ودرّ الأسنان، وطيف الخيال، وعناق الشوق وماء اللمى، ويستمد صورة من معاني الغزل، فوجهها بدر، ودمعها يواقيت، ودر البحر يحسد در ثغرها.

ويصــورها باقـة في يمينه ويتلاعب باسمها في مقطوعة أخرى (110) ، فيقول:

يا باقةً في يميني للردى بُدلت أذاب قلبي عليكِ الحزنُ والأسفُ
ألم تكوني لتاجِ الحُسنِ جوهرةً لما غرقتِ فهلاَّ صانكِ الصدفُ(111).

وفــي موضع آخر يقر الشاعر أنه لا خلود لأحدٍ في هذه الدنيا، فكل حيٍّ لا بــد أن يمــوت، فــيعد هــذا البيت ضرباً من تعزيــة النفس لم يخرج عن منهج الأقدميــن في الرثاء، فتتعاظم في نفس الشاعر الأحزان كلما تذكر زوجته أو فكرّ فيها(112)، يقول :

تهدمُ دارَ الحياة بابنـــــهـــا فأيّ حيٍّ مخلَّدٌ فيـــــــهـا
وإن ترَدَتّ من قبلنا أُمـــــمٌ فهي نفوسٌ رُدَّت عواريــــها
أما تراها وكأنهــــا أجَـــمّ أسْودَهُا بيننا دواهيـــــهـا
إن سالمت وهي لا تســالمنــا أيامُنا، حاربَتْ لياليـــهـا
وأوحشنا من فراقِ مؤنــسـةٍ يُميتني ذُكرها ويحييهـــــا

أذكرها والدموعُ تسبقــــــني   كأنني للأسى أُجاريهـــــــــا
يا بحرُ أرخصت غير مكترثٍ   من كنت لا للبياع أُغليــــــــها
أبتّها في حشاك مغرقةً   وبتُّ في ساحليك أبكيْــــــهــا (113).

وقـــال وقد رأى صبياً لاعباً في البحر ينغمسُ في مائه، ويرتفع ويشير إلى أهله أن يدركوه، فإنه يغرق، فتذكر بفعله هذا زوجته (جوهرة) والّتي ماتت غرقاً، فتعاظمت في نفسه الأحزان قائلاً :

وسابحٍ لاعبٍ في بحره مَسَرحـــــاً   تُشيرُ كفاهُ تعويذاً من الغـــــــرقِ
يدعو ولم يكُ مضطراً: خذوا بيدي   وعنده الفرق بين الأمنِ والفـــرَقِ
فإن بكيت فإنّي قد ذكرتُ بـــــــه   من جُرّعت منه كأس الموتِ بالشـــرقِ
رُدّت على البحر من كفّي جوهـــرةٌ   ثم انقلبتُ بقلبٍ دائمِ الحُـــــــــرَقِ
أجلو عروساً نجدّها خجـــــــــلٌ   كالوردِ لوناً ونشرها عَـــــــــبَق
كأنما كوكبٌ يصافحنـــــــــــي   مُجوف الجسم روحه شفـــــــــقِ
وللثريا يدٌ مختـــــــــــــمـــةٌ   منها بناناً خضابُها الغســـــــقُ(114).

فالأبـــيات في مجملها تعبر عن موقفٍ شعوري حزين ألمَّ بابن حمديس بعد رحـــيل زوجـــته عـــن هذه الدنيا، وتركه وحيداً يُعاني الآلام الأحزان بفقدها الّذي أورثهم الهمَّ والحزن.

وخيرّ من يمثل رثاء الزوجة أبو اسحاق الإلبيري (115) ، بقصيدته الرائية والّتـــي يُعـــبر فيها عن حزنه لفراق زوجه، وقد تميزت هذه الزوجة بفضائل عدة أهمهـــا طهارة العرض، والتقى، وأصالة العرقِ، وكرم المعشر، فقد أحسن الشاعر في هذه القصيدة كُلَّ الإحسان يقول :

عُج بالمطي على اليباب الغامِـــرِ   واربع على قبرٍ تضمّن ناظـــري
فستستبينُ مكانةً بضجيعـــــــةِ   وينمُ منهُ إليك عرفُ الــــعاطرِ
فلكم تضمّن من تقىً وتعفـــــفٍ   وكريم أعراقٍ وعرضٍ طـــاهر
واقْرَ السلام عليه من ذي لوعـــةٍ   صدعته صدعاً ماله من جابــــرِ
فعساهُ يسمحُ لي بوصلٍ في الكرى   متعاهداً لي بالخيال الزائـــــــرِ
إنيَّ لاستحييه وهوَ مغيّـــــبٌ   في لحده فكأنهُ كالحاضـــــــــرِ

أرعى أذمتهُ وأحفظُ عهــــــــدهُ عِنْدي فَمَا يجري سواهُ بخاطــــري
إن كان يدثر جسمه في رَمســــه فهواي فيه الدهر ليس بداثـــــــر
قطع الزمان معي بأكرم عشـــرةٍ لهفي عليه من أبرَّ مُعاشـــــــرِ
ما كان إلا ندرةً لا أرتجـــــــي عوضاً بها فرثيتهُ بنـــــــــوادرِ
ولو أنني أنصفتهُ فـــــــي ودُه لَقضيتُ يوم قضى ولم أستأخـــــرِ
أجد الحلاوة في الفؤاد بكونــــه فيه ، وأرعاه بِعَيْنِ ضمائــــــــري
لسألت مغفرةً له وتجـــــاوزاً عنه منَ الّربِّ الجواد الغـــافرِ
حسبي كتاب الله فهو تنعمـــــي وتأنسي في وحشتي بدفـــاتري(116).

فقــد رثــى أبــو اسحاق الإلبيري زوجته رثاءً رقيقاً، ذكر فيه شمائلها من الــورع والأدب الجم وحيَّ ذكراها، وبكاها، وأسف على فراقها ودعا لها، وتفجع علــيها وقال: إنها تستحق أن يقضي أسفاً عليها فجاءت الألفاظ موسومة بالفخامة والجزالة والوقار.

وهكــذا تمضــي القصيدة على هذا النمط من رقة المشاعر، وحسن الوفاء، وذكر المآثر، وتبيان المواجد، وإظهار التأثر، كما ويستفيد الشاعر من ذكر الموت ليعود إلى نهجه في اطرّاح الدنيا، واستفادة الموعظة، وفي آخر القصيدة يدعو لها بالــرحمة، والمغفــرة مــن الله ســبحانه وتعالى وأن تكون جنة الخلد مسكنها في الآخرة(117).

ومــن الشّعراء الّذين رثوا زوجاتهم ابن الزقاق البلنسي (118) ، فقد رثى زوجــته "درة" غير أنها لا تصل إلى مستوى المرثية السابقة، وإن كان فيها شجو وحزن وتوجع، فجاءت الأبيات ممزوجة بومضات من الغزل الّذي يكسب الأبيات رونقاً وجمالاً يتناسب مع قدر المرأة ومكانتها في نظر الشاعر (119) ، يقول :

لمغناك سحَّ المزن أدمـــــعَ باكِ ورجّعتِ الورقاءُ أنّه شـــــاكِ
وشقَّ وميض البرق ثوباً من الدُجى كأن لم يكن يُجلي بضوءِ سنـــاكِ
أظاعنةً والحزن ليس بظاعـــــنِ لقد أوحش الأيامَ يوم نــــواكِ
نوىً لا يشدُّ السغْرُ راحلةً لهـــــا ولا يشتكيها العيسُ ليل ســـراكِ
وتشعرُ يأساً منك حرّان هاتفـــاً لعلّكِ من بعد النوى وعســـاكِ

وتورثُ شمس الدُّجن اختك لوعةً   بفقدكِ البدر المنير أخــــــــاك
وتعلمنا أن المصائب جمــــــــةٌ   وأنَّ مدانا في المقامِ مــــــداكِ
ويا زهرةً أذوى الحِمامُ رياضهــا   لقد فُجعت كف الحمام ربــــاك
فدتك كريماتُ النساءِ وربَّمــــا   رأين قليلاً أن يكُــــــنَّ فداك(120).

فكان وصف الفقيدة بزهرةِ أصابها الذبول وعبثت بها يد الحمام، قاسماً مشتركاً بين جلِّ مراثيهم(121) ، فنلحظ ذلك أيضاً في قطعة لأبي عامر بن الحمارة (122) ، يرثي زوجته وكان يهواها:

أزينبُ إن طُغيتِ فإنَّ ظهراً   أقلك سوف يركبه المُقيمُ
بأيةِ حَجّةٍ أسعي لأنثـــــى   سواكِ وأنتِ هامدة هشيمُ
ولمّا أن حَللت التُّرب قُلــنا   لقد ضلتْ مواقعها النجومُ
ألا يا زهرةً ذَبلت سريعــاً   أضنَّ المزنُ أمْ ركدَ النسيمُ (123).

فقد وصف زوجته بزهرةٍ أصابها الذبول ، ونجم هوى، فلا يستطيع الزواج من امرأة غيرها بعد أن وراها التراب.

وبـــنى الشـــاعر البيت الثالث على مفارقة طريفة وإبهام بديع ، فإن زوجته بمنزلة الــنجوم ورفعــتها، فكـيف تــنزل النجوم لتكون في التراب كما استغرب ذبولها الســريع، فالزهــرة لا تذبل إلا لأمرٍ عظيمٍ كانحباسِ المطرِ، وسكون النسيم الذي تكون معه حركة الحياة (124).

ويرثي أبو البقاء الرندي– من شعراء الموحدين– زوجه بقصيدة يقول فيها :

مضت مضى الصّباعنّي ولا عوضٌ   ومن يقوم مقام الشمسِ والقـــمرِ
يا ليتني عندما حُمَّ الحمامُ كمـــــا   قاسمتها كبدي قاسمتها عُــمري
فإن تكن زهرةً من روضها قُطفـــت   فقلّما تُمتعُ الأيامُ بالزّهـــــيرِ
وإن تكن دُرةً من سلكها خُطفـــــت   والدهر أدرى بما يُسبى من الدّررِ

ويميل في الجانب الآخر من القصيدة إلى التجلّد :

يا قلبُ صبراً على ما قد فجعت به   فلست في دفع مقدودٍ بمقــــــتدرِ
لا تبكِ فقد حبيب أنت تابعـــــة   إذا مضى البعضُ فالباقي على الأثرِ(125).

فالشّاعر يحاول أن يصبر على ما قد فُجع به، مُعزياً نفسه بأن كل حيٍّ على هــذه الأرض سيكون مصيره كمصير زوجته، فكلنا نسير على هذه الطريق إذ لا خلود لأحدٍ على هذه الدنيا، إذ نلمس في هذه الأبيات لمسة الوفاء، واستمرار الذكر الطيبة، كما ويصرّح بمشاعرهِ الفياضةِ الّتي تدلّ على المودةِ والمحبةِ الّتي جمعت بينه وبين الفقيدة ويدعو لها بالرحمة والغفران من الله سبحانه وتعالى.

كمـــا رثى الشاعر أبو محمد طلحة بن سعيد بن القبطرنة زوجته (أُمّ الفضلِ) فقد اسود قلبه حزناً عليها، وابتعد عن الدنيا وملذاتها إخلاصاً، وحباً لها يقول :

معاذ الله أن أسلو ببدرِ   وأن أصبو إلى كأسٍ وخمرِ
وأن ألهو من الدنيا بشيءٍ   وأمُّ الفضلِ يا أسفي بقبر (126).

اما ابن الحداد فقد رثى زوجته بقوله :

شقيقك غُيب في لحده   وتُشرقُ يا بدرُ من بعده
فلا خُسفت وكان الخسوف   حداداً لبست علـــى فقده(127) .

فقد فقدَ الشاعر شخصاً عزيزاً عليه ، فكان كلما غنى هذين البيتين في رثاء زوجه اعترضه الخسوف.

ولعـــلّ خير المراثي – أيام المرابطين – قصيدة الأعمى التُطيلي في زوجة (آمنة) ، فإن القارئ ليحس فيها بصدق العاطفة والمعاناة وحرقة الفقدان، فقد بكاها بشـــعرٍ يـــتفطرُ ألمـــاً وتفجعـــاً، تتلاحم فيه المعاني وتتداخل، وتتفاوت بين الجهر والهمـــس، وبينما يُعلي الشاعر صوته بالشكوى والبكاء، يعود ويهمس في سمعها الآمُـــه ومُصابه، ثم يصف حاله وما آل إليه أمره بفقدها ، فهذه القصيدة تعد بحق نموذجاً لوفاء الزوج لزوجته بعد وفاتها :

ونُبئتُ ذاك الوجة غيرّهُ البلـــــى   على قُرب عهدٍ بالطلاقةِ والبشـــــرِ
بكيتُ عليه بالدّموع ولو أبتْ   بكيتُ عليه بالتجلّدِ والصبـــــــرِ
فليتهُم واروا ذكاءَ مكانــــــه   ولو عرفت في أوجُه الأنجمُ الزهـــرِ
وليتهم واروهُ بين جوانحــــــي   على فيضِ دمعي واحتدام لظى صدري
أمخبرتي كيف استقرت بكِ النوى   على أن عندي ما يزيدُ على الخبــــرِ
وما فعلت تلك المحاسنُ في الثرى   فقد ساء ظنـــي بيـــن أدرى ولا أدري

يهونُ وجدي أن وجهك زهرةٌ | وأن تراها من دموعي على ذكـــــرِ
ويحزنني أني شُغلتُ ولم أكنْ | أسائلُ عما يفعلُ الدمـــغُ بالزّهـــــرِ
دعيني أُعلل فيك نفسي بالمنى | فقد خفتُ ألا نلتقي آخـــــر الدهــــرِ
وإن تستطيبي فابدئيني بزورةٍ | فإنك أولى بالزيارة والبــــرِ (128).

وإذا مـــا رثى الأعمى التطيلي زوجته(آمنة) فإنه يبكي محاسن وجهها الذي غيرّه البلى، ويتساءل عما فعلته تلك المحاسن في جوف القبر ثم يتحدث عن جيدها الّذي أصبح عاطلاً (129).

ويستمر الشّاعر في التعبير عن حزنه لفقد زوجته (آمنة) وولهه إثر فقدها، فقــد أثنى الشّاعر عليها في شخصها، وفي حُسن عشرتها لهُ، وفي عظيمِ رعايتها، فقــد كان (الأعمى) كفيف البصر، فكانت هي مرشدةً، ودليلهُ، إضافة إلى ما بينهما مــن المحـــبة والرحمة، والمودة، كما ويهنئ الشاعر القبر الذي ضمَّ زوجته فهي كالقمر الّذي حل في هذا البيتِ المظلمِ لتنُيره، وفي آخر المطاف طلب لها المغفرةَ والرحمة، وأن تكون بحسب أعمالها الصالحة في جنةِ الخلد يقول :

ألمن لا والله ما زلتُ موقنـــــــاً | ببينك لو أني أخذتُ لـــــه حذري
خُذي حدّثيني هل أطقت على النوى | أُحدثك أني قد ضعفتُ عن الصبرِ
هنيئاً لقبرِ ضم جسمك إنّـــــــــه | مقر الحيا أو هالة القمــــرِ البدرِ
إذا جئت عدنا فاطلبينا فقلّمــــــــا | تقدمتني إلاّ مشيتُ على الأثــــرِ
ولا تعذليني إن اقمت فربّمـــــــــا | تأخر بي سعيي وأثقلنـــي وزري
والله ما وفيت رزءك حقـــــــهُ | ولكنه شيء اقمتُ بــــــه عُذري
ولا تبعثي طيف الخيال فإنــــــه | سميرُ هموم لا يُضيف ولايقرى(130).

فهذه المرثية تكتظ بالصورِ البديعة والخواطر المفعمة باللوعة والأسى فهي بكـــاءٌ وزفـــرةٌ ولوعةٌ يحس فيها القارئ بصدق المعاناة وحرقة الفقدان (131) . ويصـــور لـــنا ابن خفاجة الحشمة والحياء والوقار في رثاء هذه الزوجة الّتي بدت كالعذراءِ ، قائلاً :

وسَطَا بسيدّة النساء ومــــا درى | أن قد سطا بقليله النظــــراء
وإليك من حرِّ الكلامِ عقـــيلةً | وصرت خُطاها فجلة العذراء(132).

ونظـــم ابن جبير ديواناً كاملاً في رثاء زوجته" أم المجد" سماه " نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح " ، أودعه قصائد في مراثي زوجته أم المجد بعد وفاتهـــا، والتوجع لها أيام حياتها تزيد أبياته على ثلاثمائة بيت، وقد توفيت زوجته سنة (610)هـــ وقد أشار ابن جبير إليها في بيتين كتبهما وهو في الديار المصرية إلى أحد اصدقائه بسبته (133) يقول :

بَسْبتَة لي سكن في الثـــــرى وخلى كريم إلـــــيها أتـــــي

فلو أستطيع ركبت الهــــوا فزرت بها الحي والميتا (134).

ورثـــى الشّاعر ابن الأبار زوجته بأبيات شعرية ، تنفطر ألماً وتفجعاً، وتعبر عن أسىً بليغٍ وحزنٍ عميقٍ وعاطفةٍ صادقةٍ ، يقول:

روُيد الليالي كم تصر على العذرِ اتجهل إتلاف النفائس أم تــــــدري

تدب بفجع الخل بالخل دائبـــــاً وتسري لشت الشمل في السرِ والجهرِ

لقد اثكلتني خُلةً ظعنت بهـــــا ولكن أقامت بعدها لوعــــة الصدرِ

دوت غصناً ، ماءُ النعيمُ يُميلــه بملء الحشايـــــا والحشا وَقْدَّهُ الجمرِ(135).

1. 3 . 4 : التكافؤ بين الزوجين

ويقصد بالتكافؤ أو الكفاءة : أن يكون الزوجان كُلٌ منهما مناسباً للآخر، سواء من حيث الظروف المادية أو من حيث الصفات المعنوية(136) .

وعدّ العرب زواج المرأة من غير الكفء أمراً يَمسُّ الشرف، حيث قال ابن عبد ربه " إذا لم تجد المرأة كفأ فخير زوجٍ لها القبر (137)، فقد شغلت هذه المسألة الأندلسيين عامة.

ويلعـــب مـــيل القلب دوراً في النكاح، وقد كان هذا الميل سبباً في كثيرٍ من الـــزيجات، ومن ذلك إرتباط اعتماد الرميكية، بالمعتمد بن عباد، فقد أُعجب بحسن ذكائها وسرعة بديهتها إضافة إلى جمالها وسارع بالزواج منها(138) ، فقد احتلت هـــذه المـــرأة مكاناً كبيراً في قلب زوجها، وتحملت معه عذاب النفي وحالة الفقر والحـــرمان، فقد أدت (اعتماد) مهمة كبيرة في تنظيمِ قصر الإمارة في إشبيلية مع زوجهـــا، وفي ظلاله وشاركته الرأي في مسائل مختلفة كثيرة ، فقد عُرفت اعتماد بـــرجاحة الـــرأي وقوة الحجة وقوة الشخصية، وظلت(اعتماد) الزوجة المخلصة

لــزوجها العطــوف علــى بيتها وأولادها في ظروف حياتهم المختلفة ؛ من العز والمكانــة العالــية،إلى الأسر وحالة الفقر والمعاناة في السنوات الأخيرة من حياة المعتمد وحياة الأسرة أيضاً.

وعلى العموم فقد وضح لنا الشّعر الاندلسيّ ما كان من صلات حميمة بين الزوج وزوجته، وما جعل الله بينهما من مودة ورحمة، كان من آثارها أن عاشت الأسرة الأندلسيّة في ظل هذا الصفاء الأسري حياة ملؤها الحب، والحنان، وهذا ما باحت به قصائد أهل الأندلس، ونطقت به أشعارهم.

1 . 4 : المواقف السلبية بين الزوج وزوجه :

1 . 4 . 1 : هجاء الزوجات

ومهمــا يكن من أمر تعلق الأندلسيين بزوجاتهم ، فإنه مما لا شك فيه، أن الأزواج لــم يكن كلهم على وفاق تام مع زوجاتهم فقد أعطانا الشعر صورة أُخرى مُغايرة لما مرَّ بنا، إذ صور معاناة الرجل أو الزوج في حياته الزوجية، وبين وقع هــذه الحــياة المــرة عليه ، ومن نماذج هؤلاء الرجال عبدالملك بن جهور يشكو زوجــته، وفرط تعاسته معها، فقد كان كارهاً لاخلاقها يرى في حياته معها، سجناً يرجو أن يتحرر منه، وجحيماً لا يُطاق وقد خص بالذكر من أخلاقها المنفرة، خلق التــنكر إضافة إلى أنها لا تمل الشكوى ، ولا تحس بالرضا، فقد ذهب في وصف زوجته ووصف أهلها حداً بعيداً (139)، يقول :

من ذا يفكُّ إساريـــــــة ... ويُحلُّ عقد عقاليـــــــــة
من ذا يُخلص من هــوىً ... من حينهُ في الهاويــــــة
إني بليتُ بشرِّ مــــــن ... تحت السماءِ العاليــــــة
إني دهيتُ بحبــــــــه ... قطعتْ حراك لسانيــــــة
لو كنتُ تبصرها سألــت ... الله منها العافيـــــــــة
ما أبصرتها مُقلتـــــي ... مذ أبصرتها راضيــــــة
تمضي السنون وتنقضــي ... وحياتها مُتماديــــــــة
ولها أهيلُ مُنتـــــــنٌ ... عورُ الوجوه سواسيـــــة
لولاء الحياء بصقـــتُ ... في تلك الوجوه البالـــية

يا يوم معرفتي بهـــــم		يا زاني ابن الزانيـــــــة
انشبتني وغررتـــــــي		وقعدت عنّي ناحيـــــــة
ما كان هذا منك فـــــي		الودّ القديمِ جزائيــــــــةُ(140).

ومـــن الشّعراء الّذين هجوا زوجاتهم أبو محمد بن صارة الشنتريني(141)، ليخــبرنا أنـــه تخلص منها بالطلاق لاتصافها بخلق الخبث، والتلون، والنفاق، كما ويشبهها ببعض الحيوانات الوضيعة ، فيشبهها بالذئبة وبالحية الرقطاء يقول:

أما الزمان فرق لي من طلّة		كانت تُظل دمي بسيف نفاقهـــا
الذئبة الطلساء عند نفاقهـــا		والحيةُ الرقطاء عند عناقها (142).

وهذا أبو الحسن اللورقي، يصور لنا زوجته بخيلة تؤنبه على الكرمِ والبذلِ وتدعوه إلى الاحتذاء بالبخلاءِ فقد أصبح لهم شأنٌ يقول :

طَفِقَتْ تؤنبني على البــــــذلِ		وتقول نِعَمْ سَجِّيَة البخـــــــلِ
قد أُصبح البخلاء في شرفٍ		وبقيت في سرف و فـــي أزلِ
هي شيمةُ مما جُبلتُ بـــــه		والطبعُ ليس بممكن النــــــقلِ (143).

1. 4 . 2 : وساوس الزوجة :

كـــان للتـــيارات التـــي رافقـــت هـــذا العصر وما صاحبه من كثرة شراء الجـــواري، واخـــتلاط الـــرجال بالنســـاء، أثر واضح في إثارة الشك والقلق عند الـــزوجات، فرحنَّ يظننَّ بأزواجهنَّ الظنون، والمعتمد على الرغم من حبه لاعتماد وتعلقـــه الشـــديد بشخصها إلا أنها تظن به الظنون، ولعل هذه الأبيات تقدم صورة للحالة النفسية التي أصابتها ، وموقف الزوج منها (144) يقول:

تظن بنا أُمّ الربيع سآمـــــة		ألاّ غفر الرحمنُ ذنبــــا تواقُعه
أأهجر ظبياً في فؤاد كُناســـة		وبدر تمام في جفونـــي مطالعهُ
وروضة حسنُ اجتنيها بارداً		من الظلمِ لم تحظر عليّ شرائعهُ(145).

وكـــان المـــيل نحو الغلمان سبباً آخراً في شك الزوجة بزوجها ومدى حبه وإخلاصه لها ، مما دفع الزوج للتصريح بحبه فهذا المعتمد بن عباد يقول :

سلي تعلمي ،إن كنت غير عليمة		بأن ليس في حبي لغيرك مطمـــعُ
وان لي القلب الذي ليس خالياً		من الوجدِ والجفن الذي ليس يهجُع(146).

وفي موضع آخر يقول :

أقيمي على العهدِ ما بيننا ولا تستحيلي لطولِ البِعَادِ
دسستُ اسمك الحلو في طيّة وألفتُ فيه حروف اعتماد (147).

1 . 4 . 3 : انفصال الزوج عن زوجته :

الطلاق مصطلح يقصد به فك الرابطة التي تجمع بين الزوج وزوجته مع كل ما يترتب على ذلك ، وينفرد الرجل بحق الطلاق إلاّ في بعض الحالات الاستثنائية وقد أباح الإسلام الطلاق وإنْ عدّهُ أبغض الحلال، والطلاق من المظاهر الاجتماعية التي انتشرت في عصر الطوائف مع الاحتفاظ بالعصمة بيد الرجل، كما أن عادة الحلف بالطلاق من الأمور التي شاعت هي الأُخرى في هذا العصر(148). ومن اللافت للنظر أن من الشعّراء الذين طلقوا زوجاتهم من ندم على فعلته هذه، فنظموا شعراً يفيض بالحزن والألم واللوعة، وهذا إن دلّ إنّما يدل على مدى حب الزوج لزوجته، وما لهنَّ من تأثير في نفوس أزواجهن فقد توسط رجل من الأعيان بعد فوات زوجة صديق له بالطلاق البائن فكتب إلى صديقه القاضي، في التوصية لهذا الصديق الّذي تعلقت نفسه بزوجته إلاّ أن القاضي رد عليه مستنكراً هذه المحاولة لأنها تمس قواعد الشريعة الإسلامية (149) يقول :-

أيا ايها السيد المجتبي ويا أيّها الالمعي العلـــــــمْ

إلى أن يقول :

وكيف ابيُح حميً مانعاً وكيف أُحلل ما قَدْ حُـــرِمْ
ألستُ أخافُ عقاب الإله وناراً مؤججة تضـــطرمْ
أأصرفها طالقاً بته على أخوك قد طغى واجترمْ
ولو أن ذاك الغويَّ الجهول تثبت في أمره ما نــــدمْ
ولكنه طاش مُستعجلاً وكان أحق الورى بالندمِ(150).

وقــد تكــون الخلافــات ما بين الزوج ووالد زوجته، سبباً في الطلاق بين الزوجين ، وقد جسّد الشّاعر ذلك،(151) قائلاً :

هلا بعثت ولو بفرعٍ بشامـــةٍ عند التّرحلِ أو بعــــود أراكِ
وقرأتِ حين قربتُ ربعك أدمعي معنى الجوى والشوقِ في مغناكِ

يا بنت معتنق الفوارسِ بالقنـــا والبيض ما أنا من يهاب أباكِ(152).

ويـــبدو حـــب الزوج لزوجته حباً صادقاً ، ليس خوفاً ولا طمعاً بالمال فهو فارس جواد كريم (153) ، يقول :

لاقرن أرهُبُــه سواكِ وإن غــدا شاكي السلاح فإنّ قلبـــــي شاكِ

أهواكِ حاليـــةً وعاطلـــةً وإن تذري الحلــــيً كفاك بعضُ حلاكِ

ويسُرها ما ساءنـــــي من حبها كالروضِ يضحكهُ السحابُ الباكي

مهما رحلتِ وصار حُبك قاطناً فالموتَ في أولاك أو آخراكِ(154).

وهذا ابن هند الداني هو الآخر يندم على فراق زوجته يقول :

هبّت ضحىً وأهاب طيب نسيمها حتى عرفت بعرفها مثواك

فطفقتُ أنشدُهم وأنشدُ بعدهـــم يا دارُ جادكِ وابلٌ وسقاكِ(155).

الفصل الثاني

الآباء والأبناء في الشعر الأندلسيّ

إن الناظر في التاريخ العربي ، ولاسيّما الأندلسي يُدرك ما للأب من مكانة عظيمة ، فهو ربّ الأسرة وعميدها بحيث لا تقطع أمراً دونه ، فهو المسؤول عن توفير سبل العيش الكريم لأسرته . فضلاً عن رعايته واهتمامه المتواصل بالأبناء ليكونوا سنداً له في هذه الحياة (156) .

ويقدّم لنا الشعر الأندلسيّ عصر الدراسة ، صورة جليّة توضح علاقة الآباء بأبنائهم من نواحٍ متعددة ، يُمكنُ دراستها وفق المحاور التالية :

2 . 1 : عاطفة الآباء والأبناء في الشعر الأندلسيّ :

تُفصح النصوص الشعرية الأندلسيّة في مجملها عن طبيعة العلاقة القائمة بين الآباء والأبناء ، إذ تحمل صوراً تكشف عن صدق العاطفة ورهافة المشاعر عند الآباء والأبناء . ويُظهر الشعر أن الأب الأندلسيّ كان عطوفاً على أبنائه ، لا يحتمل البُعد عنهم ، ويشكو فراقهم ، بل بلغ الحال بالشاعر الأندلسيّ أن يحكم على نفسه بالحرمان من عاطفة الأبوة ، لا كرهاً لأبنائه إنّما خشية أن يمسهم مكروه لا تحتمله نفسه الرقيقة، وقد يموت قبلهم فيتركهم عُرضةً للذّل والهوان، وقد عبّر عن مثل هذه المخاوف الشاعر أبو القاسم خلف بن فرج الإلبيري المعروف بالسميسر(157) ، يقول :

يمنعني من تكسب الولد ... علمي بأن البنين من كبدي

وإن يعيشوا أعش على ظلعٍ ... وإن يموتوا أمتْ من الكمد

وإن أمت قبلهُم تركتهمُ ... أهْوَلَ بين الأنام من وتدِ (158) .

وإذا كان الإشفاق الشديد قد دفع السُميسر بحرمان نفسه من نعمة الأبوة ، فإن شاعراً آخر وهو علي بن عبد الغني ، الكفيف المعروف بالحصري (159) ، قد صوّر قوة مشاعر الأبوة في نفسه يقول :

عبدُالغني يُبنيُّ ... كلاهُ بالحفظِ ربُّهُ

يقولُ قلبي كُلهُ ... واشتر بهُ مما أحبُّه (160).

ويرسم الشاعر أبو عبدالله محمد بن شرف (161) ، صورة رائعة لعلاقته بأبنائه ويبدو فيها وهو يرحل بابنيه ، في ظروف قاسية ، وقد غمرهما بحنانه وهما يرقدان في حضنه بأمان : أحدهما ابن أربع والآخر ابن ست (162) ، يقول :

أجشهمُ ليل القفارِ وظلمـــة البحا ... ر وكم ربعوا وللسير إرخـــاءُ
ولي منهما سهمان ، هذا ابنُ أربعِ ... وهذا ابنُ ست كلَّما كان إغفـاءُ
أضمُّهما والليلُ داج كأنمـــا ... هُما نقطتا ياءٍ ، وجسمي هو الياءُ
فطوراً يُغشيهم على ذكرك الكرى ... فتصبح أضواءٌ عليهـم ولألأُ
وطوراً يمجّون الدُّجى ومطالــه ... وما كان للغايات مطـلٌ وإرجاءُ
فتضجر منهم أنفسٌ ربمـا بكت ... بكاً هو للصم الجلاميد إبكاءُ (163) .

ويذهب ابن الزقاق البلنسي إلى العدل والإنصاف في معاملة ولديه محمد وإبراهيم ، إذ لا يؤثـر أحدهما على الآخر وإنما يقُسم المودة بين طفليه بالقسطاط ، ويفسر لنا تعلقه بالحياةِ إنما كان من أجل ولديه وليس لاستمتاعه الفردي يقول :

خليليَّ ما حبُّ البنينَ ببدعـــة ... فهل أنتما فيه مقيمان مـن عذر
تقسّم قلبي بين طفليـن شطرُهُ ... لهذا ، وهذا قدْ تعلقَ بالشّطـر
صغيرين لم تصغُر حياتي عَليهِمَا ... ولا كان خطيّ باليسير ولا النزرِ
فمن قائلٍ آثرت سرّاً محمـداً ... وآخرُ إبراهيمَ تُؤثرُ فـي السرّ
فقلتُ : هما غصنان أعدلُ فيهما ... إذا جار ذو النجلين،عَدْلَ ندى القطرِ
وما استويا سناً ولكن تساويــا ... ولوعاً وحباً في الجوانـحِ والصَّدرِ
أحبُّ صلاح الدهر في جانبيهمــا ... ولولاهما ما كنتُ أحفلُ بالدهــر
فمن كان يبغي العمرَ مستمتعاً بـه ... فلاأبغِ إلاّ في صلاحهم عمري(164).

ويُعـد موقـف الوداعِ مناسبة من هذه المناسبات المثيرة ، التي تُفجرّ عواطف الآباء اتجاه أبناءهم ، وكان ابن درّاج القسطلي من الشعراء الّذين يحُسنون التعبير عن مثل هـذه العواطـف الجيّاشـة . وقد وصُف بأنه كثير الحديث عن أولاده ، دائم الشوق والحنيـن إلـيهم ، " فقد ذكر أبناءه ألواناً مختلفة من الذكرِ ، بلغت عشرين مرةً في ديوانه ، وهذه ظاهرة قد لا يشاركه فيها شاعر عربي آخر " (165).

وربمـــا دفعه إلى ذلك الظروف الخاصة التي ألمّت به وبأبنائه فقد قست الأيام عليه وعليهم ، فاضطر إلى مغادرة بلده قسطلة إلى قرطبة تاركاً أولاده بعيداً عنه .

فابن درّاج لا ينسىَ وهو (يمدح) أن يذكر موقف الوداع بينه وبين أولاده ، فيخصّ بالذكرِ ابنته ذات الثماني ، التي كانت أحشاؤها تخفق حزناً ولوعـــةً لفراق والدها ، ثم يصورها وقد تشبثت يداها بكتفيه تشكو إلى أبيها ما قدْ يُصيبها من قسوةٍ أوِ جفاء الأقـــارب من بعده . وقد امتزج في هذا المشهد الوصف الحسي بالوصفِ النفسي ، ففـــيـــه تعلـــق مـــن الطفلةِ بأكتافِ أبيهـا وفيـــه حركـــة واستشعار للوعـــة البُعْد والفـــراق، وخـــوف من مشهد اضطراب أحشاءِ الطفلـــة وعلوّ قلبها وانخفاضـــــه تـــارة مـــن الانفعـــال(166) ، وفي ذلك يقول ابن درّاج من خلال قصيدة يمدح بها المنصور بن أبي عامر (167) :

وبنت ثمان لا يزال يروعنـــــــي	على النأى تذكاري خفوق وحشاهـــا
وموقفها والبيـــــــن قدْ جدّ جده	منوطاً بحبلي عاتقيّ يداهـــــــــا
تشكي جفاء الأقربيـــــن إذا النوى	تراقب برحلي في البلادِ فتاهـــا (168).

كمـــا ويصـــوّر لنا ما حل به وبأبنائه من أهوال الفتنة بأسلوبِ مؤثرِ نابضِ بالألمِ ، حـــتى دفع الشاعر إلى الرحيل بحثاً لأولاده عن الأمن والاستقرار . فقد كانوا جميعاً معلقين في عُنق أبيهم في ظل الظروف القاسيةِ التي أطاحت بالأندلسِ في تلك السنين فقد كانوا بضعةَ عشر بين بنين وبنات يقول :

في ستةٍ ضعفوا وضُعف عدُّهـــم	حملاً لمبهـــــــــــــور الفؤاد مُبلَّد
شدّ الجلاءُ رحالهـــــــم فتحملت	أفلاذ قلبِ بالهمـــــــــــومِ مبددِ
وَحَدتْ بهم صعقات روعٍ شرَّدت	أوطانهـــم في الأرضِ كـــل مشردِ
لاذات خدرهم يُرام لوجههـــــا	كنٌ ولاذو مهدهـــــــــــم بُممهدِ
ورضوا لباس الجود ينهكُ منهم	بالبؤسِ أبشارَ النعيـــــــمِ الأرغدِ
واستوطنوا فزعاً إلى بحرِ الندى	أهوال بحـــرِ ذي غوارب مزبـــدِ
من كلِ عـــــارِ بالتجملِ مكتسِ	ومزودِ بالصبـــــــــرِ غير مزوَّدِ
ولنعم جبر الفقر من بعد الغني	والذل بعـــــــد العزّ آلُ مُحمَّدِ (169) .

وفـــي موضــع آخر يصوّر تحمّله الأعباء الثّقال حتّى يدفــع عن أبنائه آلام التنقّل والتّرحال :

وتحت جناحي مقدمي وتعطفـــي ثمانٍ وعالت بالبنين إلى الشطـــــــرِ
أخذتُ لهم إِصر الحياة فأجّلــوا وقد أخذ الإشفاقُ مني لهــــــم إصري
فَحمّلْتهُمْ وزراً ولو خفّ منهــم جناحي لكان الطود أيسر من وزري (170).

ويصــّــور الشـــاعر قسوة الغربة على أبنائه ، وشدة حنينهم إلى ديارهم ، حتى إنهم لــيحزنون كلّمـــا تخــيلوا داراً لساكنين ويتألمون كلما رأوا حيواناً أو طائراً يستهتع بمربضٍ أو عشٍ على حين هم مُشردون هائمون يقول :

في أهلِ داركاً لكواكب والنوى بعد النوى فلكٌ بهــــــم دوارُ
كانوا جمالاً للزّمان فأصبحوا وهمُ عليـــــه بالتغرب عــارُ
تبنوا الديار بهم وتلك ديارهم غرض المصائب ما بهـــا ديَّارُ
قد أقفروا وطن الأنيس وأنّست بهمُ مغاور بالفـــــــلا وقفارُ
يتأوهون إذا رمت أوهامُهـــم داراً لساكنهـــا بهمـــا استقرارُ
ويهيجهم عينٌ لهـــنّ مرابض ويشوقهم طير لهما أوكـــارُ (171) .

ويصوّر في أبياتٍ أُخرى أبناءه الأربعة وبناته السبع الّذين عصفت بهم ريح النّوى ، وشتّتهم في مناكب الأرض ، وما جلبه ذلك له من ألمٍ شديدٍ وحرقٍ منقدة تلذع فؤاده يقول :

بسبعٍ كسبــــــع سمامِ السمُومِ وأربعـــــةٍ كربوع العفـــاءِ
يفُدوُن نفسي مـــــن الحادثاتِ ومالي ولا لهــمُ مـــن فِداءِ
وكم ضربوا بقداحِ الحنــــوِّ عليَّ ففازوا بقســـــمٍ سواءِ
وقد أسلمتهم سمائي وأرضـــي فلا من ثراي ولا من ثرائـــي
فيا ضيق ذرعي لهـم بالزّفيرِ على ضيقِ ذرعي بضيقِ الشتاءِ
وقد آذنتهم يدي واضطلاعــي بقدمِ الوفاء لهـــــم والصّلاءِ
فما بسواى حُرَّ تلك الصُّدورِ يُوقّون مــــن بردِ هذا الهواءِ
وإن راعتِ الأرض منهم جُنوباً تسلّوا برعـــي نجوم السَّماءِ (172).

وعبَّر الشعراء الأندلسيّون عن أشواقهم لأبنائهم عند ما كان الآباء يبتعدون عنهم كما فـي الأبـيات التالية لأبي بكر بن زهر(173) ، والتي تستبطن في آن واحد مشاعر الآباء والأبناء في لحظات الفراق :

نأت عنه داري فيـــا وحشتي   لذاك الشخيص وذاك الوجيـــه
تشوّقنـــي وتشوّقتـــه   فيبكي عليَّ وأبكي عليـــه
وقد تعب الشوق ما بينـــنا   فمنه إليَّ ومني إليـــه (174).

وهذا المعتمد بن عباد يتذكر ابنه هاشم (175) ، أثناء احتدام معركـــة الزلاقة سنة (479) ، حيثُ أُثخن ابـن عباد بالجروحِ وضُرب على رأسه ضربةً فلقت هامته ، وجُرح في جبينه ويمينه . فكان هذا التّذكار دافعاً له للصمود والثبات في المعركة ، لا الفرار من حرّها (176)، يقول :

أبا هاشم هشمتنـــي الشفارْ   فإنـــه صبري لذاك الأوار
ذكرت شُخيصك مابينهـــا   فلـــم يَدْعُى حبُّـــهُ للفرار (177).

وهو الابن نفسه الذي دخل على أبيه حينما كان معتقلاً بأغمات فارتاع حين رآه يرسف في قيوده ، فخنقته العبرة ، فأهاج كامن حزن المعتمد فقال :

قيدي أما تعلمنـــي مُسلمـــا   أبيت أن تُشفق أو ترحمـــا
دمي شراب لك ، واللحُـــم قد   أكلته ، لا تهشم الأعظُمـــا
يبصرني فيك أبو هاشـــمٍ   فينثني القلبُ وقد هُشمـــا
إرحمْ طُفيلاً طائشـــاً لبـــهُ   لم يخشَ أن يأتيك مسترحمـــاً
مارحمْ أُخيات له مثلـــه   جرَّعتهـــنَّ السمَّ والعلقمـــا
وأبقى أسامُ الذّلّ في أرض غربُـــه   وما كنت لولا الغدرُ ذاك أُســـامُ
فبلغتها في ظلّ أمن وغبطـــةٍ   وسُنىً لي ممـــا يعوقُ سلامُ (178).

وهـذا الوزير أبو بكر البطليوسي (179) ، يتذكر ابنته سُليمى وهو في ساحة القتال فيتخيل الرماح صورتها فيعانقها قائلاً :

ذكرت سُليمى وحرَّ الوغـــى   لقلبه ساعة فارقتهـــا
وأبصرتُ أن القنا قدّهـــا   وقد ملنَ نحوي فعانقتهـــا (180) .

وبينما كان المعتمد معتقلاً في أغمات اعتلت بعض كرائمه فكتب المعتمد للوزير أبي العــلاء بن زهر ، راغباً في علاجها ومطالعة أحوالها بنفسه ، فبادر أبو العلاء إليها ولاطــف علاجها ، ورفع قدر المعتمد بالتبجيل ، ودعا له بالبقاءِ الطويلِ فكتب إليه المعتمد في إثر ذلك بهذه الأبيات :

دعـــا لي بالبقاء ، وكيف يهوى أسيرُ أن يطول بـــــه البقاءِ
أليس الموتُ أروح مـــن حيـاةٍ يطولُ على الشّقيِّ بهـــا الشّقاءُ
فمن يكُ مـــن هواه لقاءُ حبٍّ فإنّ هواي من حتفـــي اللّقاءُ
أأرغبُ أن أعيش أرى بناتـــي عواري ، قد أضرَّ بها الحفـــاء(181).

ويجســد لــنا المعتمد بن عباد صورة بناته ، وقد تعرَّضن للذّل والهوان بعد أن كنَّ مُترفات مُنعمات ، فقد اضطررّن للعملِ لتحصيل قوتهن ، فتألم والدهنَّ لتقلب الزمانِ علـى بـناته فرآهن في أطمارٍ رثّةٍ ، وحالةٍ سيئة ، بعد أن كنّ يسرن بأرجلهنّ في العنبر والكافور يقول :

فيما مضى كنتُ بالاعياد مسروراً فساءك العيدُ في أغماتِ مأسوراً
ترى بناتك في الأطمارِ جائعــةً يغزلنّ للناس ، لا يملكن قطميرا
برزن نحوك للتّسليم خاشعـــةً أبصارهن حسيراتٍ مكاسيــرا
يطأن في الطينِ والأقدام حافيـةٌ كأنها لم تطأ مسكاً وكافـــورا
لاخدَّ إلا ويشكو الجدب ظاهـــرُهُ وليس إلا مع الأنفاس ممطـــورا
أُفطرت في العيد لاعادت إساءتــه فكان فطرُك للأكباد تفطيـــرا
قد كان دهُرك إن تأمره ممتثـلاً فردّك الدهر منهيـاً ومأمـورا
من بات بعدك في مُلك يُسرُّ بــه فإنما بات بالأحلا مغروراً (182) .

وممـــا لا شك فيه أن العلاقة بين الابن وأبيه كانت تقوم على المودة والاحترام ، فمن واجب الابن احترامه وطاعته ، وترك الزلل وسماع نصيحته ، فهذا أُميّة بن أبي الصلت الأندلسيّ (183) ، يوصي ابنه وقد اشتدّ به مرض موته ، بِحفظ العهد بعيداً عن الزللِ يقول:

عبد العزيز ، خليفتـــي ربُّ السماءِ عليك بـــعدي
أنا قد عهدتُ إليكَ مـــا تدريه فاحفظ فيه عــهدي

ولئن علمت بـــــــه لا تـــــــزال حليف رُشدِ
ولئن نكثت فقد ضللت وقد نصحتك حسب جهدي(184) .

وهذا المعتمد بن عباد كتب إلى أبيه يستعطفه لما فرّط في أمر مالقة(185)، وخذله أصحابه فأُخرج منها ولجأ إلى رنده، فأقام بها مدة تحت موجدة أبيه ، يقول :

سكّنْ فؤادك لا تذهب بـــك الفكَرُ فإذا يُعيدُ عليك البث و الــــــحذرُ
وازجر جفونك لا ترضَ البكاء لها واصبر فقد كنت عند الخطب تصطبرُ
فإن يكن قدرٌ قد عاق عن وطـــر فلا مـــردّ لما يـــأتـي بـه الـقــدرُ
وإن تكن خيبةٌ في الدهر واحــــدةٌ فكم غزوت ومن أشياعك الظـــــفرُ
إن كنت في حيرة من جُرم مُجترمٍ فـــإن عذرك في ظلمـــائها متمرُ
واصبر فإنك من قوم أُولى جَلَــدٍ إذا أصابتـــهم مكـــروهةٌ، صــــبروا
مَنْ مثلُ قومِك مَنْ مثلُ الهمام أبــي عــمرو أبيك ، له مجدُ ومفــتخَرُ(186).

فقد حَرص الأبناء على رضى آبائهم وتجنب غضبهم وسخطهم ، كما يتبين من قول المعتمد يسترضي أباه، ويصوّر وضعه النفسيّ بسبب سخط أبيه عليه:

مـــولاي أشكو إليـــك داءً أصـــبح قـــلبي بـــــه قريحاً
إن لــم يــرُحه رضــاك عــني فـــلسـت ادري لـــــه مريـــحا
سخطه قـــد زادني سقامـــــا فابـــعث إليّ الرِّضـــا مســـيحـا
واغفر ذنوبي ولا تُضـــيِّــق عن حـملها صـــــدرك الفـسيحا
لــو صـــور الله لـــلمـــعـــالي جسماً لأصبحتُ فيهِ روُحــــا(187).

وتشـــف بعـــض الأشعار عن تأدّب الأبناء في خطاب آبائهم ، كما يتبين من الأبيات التالية الّتي بعثها المعتمد إلى أبيه يطلب منه جواداً ، وقد انتقى فيها ألفاظاً تُعبّر عن ملاطفته لأبيه وحرصه على التودّد إليه :

ألا يا غُرة السَّعـــدِ وقُرَّة ناظـــر المـــجدِ
ومولاي الّذي مـــازا ل يسحبُ حـــلَّة الـــحمدِ
لعبدكَ هَمَّةُ هامـــت بركـض الضُمَّر الجُردِ
ويرغب ضارعاً منها إلى عليـــاك في الـــوردِ(188) .

فاستجاب والده لطلبه، وبعث إليه بجوادٍ مُسرَجٍ ملجمٍ، فرد على أبيه بأبيات يبدو عليها طابع الخفَّة الارتجالية من ناحية، والإعجاب بالابن الفتى من ناحية ثانية:

خلعت ثوب الصفيِّ على العُبيد الوفي
يا مسترقاً بنُعما ه، كل حُرٍ سرى
أتى على الورد سرجٌ كالهدى فوق الهَدي
فسوف أرودُ رُمحي عليه قلب الكميِّ(189) .

وعتب المعتمد على ابنه الرشيد وهو في طريقه من مِكناسة إلى أغمات عتباً أفرط فيه، فكتب إليه الرشيد يستعطفه :

يا حليف الندى وربَّ السَّماحِ وحبيب النُفوس والأرواحِ
من تمام النُعمى عليَّ التماحي لمحة من جبينك الوَضاحِ
قد غنينا ببشره وسناهُ عن ضياء الصَّباح والمصباح(190) .

فأجابه المعتمد بأبياتٍ تصور معاناته في أسره،وإحساسه بالضعف والانكسار :

كنت حلف النّدى وربَّ السَّماحِ وحبيب النُفوسِ والأرواحِ
إذ يميني للبّذل يوم العطايا ولِقبض الأرواح يوم الكفاحِ
وشمالي لقبض كلِّ عنان يُقحم الخيلَ في مجال الرّماحِ
وأنا اليومَ رهنُ أسرٍ وفقر مستباحُ الحمى مهيضُ الجناحِ
لا أُجيبُ الصَّريخ إن حضر الناسُ ولا المعتفين يوم السَّماحِ
عاد بشرى الّذي عهدت عُبُوساً شغلتني الأشجانُ عن أفراحي (191).

وحرص الآباء على إزجاء النصح والإرشاد لأبنائهم، وتقديم تجاربهم الّتي خبروها في حياتهم، حتّى يتجنّب الأبناء الوقوع في الأخطاء، فقد حثّ محمد بن عمّار الكلاعي(192)، ابنه على لزوم طاعة وليِّ الأمرِ مادام مسلماً حتّى وإن جار يقول:

وطاعة من إلية الأمرُ فالزم وإن جاروا وكانوا مُسلمينا
فإن كفروا ككفر بني عبيدٍ فلا تسكن ديار الكافرينا(193).

وكتب ابن سعيد الأب (194) ، أبياتاً لابنه عليّ طلب فيها أن يجعلها إماماً له فـي الغربة ، فأوصاه بعدم المكوث طويلاً بعيداً عنه، وتجنب مجالسة ذوي الجهالة من الناس ، والانصراف في مجادلة الحاسدين لأنّ ذلك أدعى للهيبة :

أُودعُك الرحمنَ في غربـتكْ ... مرتقباً رُحماه في أوبتـكْ
وما اختياري كان طوعَ النوى ... لكنّني اجري على بُغيـتكِ
فلا تُطلْ حَبْلَ النـوى إنني ... والله أشتاقُ إلى طلعتـكْ
فاختصر التوديـع أخذاً ،فـما ... لي ناظرٌ يقوي على فُرقتـكْ
واجعل وصاتي نُصب عين ولا ... تبرح مدى الأيام مـن فكرتكْ
خُلاصةُ العُمرِ الّتي صُنّكـت ... في ساعة زفّتْ إلى فطنـتكْ
فللتّجـاريـب أمـورٌ إذا ... طالعتها تشحذُ من غـفلتكْ
ولا تجالـسْ من فشـا جـهلُه ... واقصدْ لمن يرغبْ في صنعتكْ
ولا تجادلْ أبـداً حاسـداً ... فإنهُ أدعى إلى هيبـتك(195).

وكثيراً ما تظهر عاطفة الأب بوضوح عندما يقع أحد أبنائه أسيراً ، مخلفاً له الحسـرة والألـم والأحزان في حيرةٍ من أمره لا يعلم مصير ابنـه الذي وقـع في الأسر(196) ،ويتجلى ذلك في قول المعتصم بن صمادح(197)، وكان قد أرسل ابنه رسولاً إلى يوسف بن تاشفين ، فاعتُقل وقُيد فكتب الابن إلى أبيه :

أبعد السّن، والمعالي خـمولُ ... وبعد ركوب المذاكي كبولُ؟
ومن بعدِ ما كنتُ حراً عزيزاً ... أنا اليوم عبدٌ أسيرٌ ذلـيلُ؟
حللتُ رسولاً بغرناطـة ... فحلّ بها بي خطبٌ جـليلُ
وثقفتُ إذ جئتها مرسـلاً ... وقد كانَ يُكرمُ قبلي الرسولُ
فقدت المرية،أكرم بهـا ... فما للوصولِ إليها سبيـلُ(198) .

فراجعه أبوه مصوراً ما ألمَّ به من ضيق وحزن مبدياً الحسرة على فراقه، طالباً منه الصبر على ما حلَّ به قائلاً:

عزيزٌ عليَّ ونوحي ذليـلُ ... على ما أقاسي ،ودمعي يسيلُ
لقطّعت البيضُ أغمادهـا ... وشقت بنود، وناحت طبـولُ
لئن كنت يعقوب في حُزنهِ ... ويوسف أنت، فصبرٌ جميلُ(199) .

ثم لم يزل المعتصم يَتحيّل في تخليصه حتى تمكن من ذلك وهّرب به على البحر، فوافى المرية، وهُنئ أبوه بخلاصه.

وتتمثل عاطفةُ الأبوة في إشفاق الأب على أبنائه من تحمّل المسؤولية والنهوض بأعباء الحكم ، فقد استناب ابنُ سعيد(200) ابنه في بعض أُموره ،فلم يصبر على ذلك واستعفى من أبيه فلم يعفه،وقال له : أفي مثل هذا الوقت العصيب تركن إلى الراحة ، فجاوبه قائلاً :

مولاي في أيِّ وقتٍ أنال في العيش راحة

ـنِ لم أنلها وعمري ما إن أنار صباحه

وللملاح عيونٌ تميلُ نحو الملاحة

أعفني وأقلني مما رأيت صلاحه(201).

فعفا عنه أبوه قائلاً :"قد تركنا سراح أُنسك ،وألحقنا يومك بامسك " (202)

ولأبي جعفر بن سعيد أبيات يفصح فيها عن إعجابه بأبيه، فقد رآه يوماً وقد شدَّ عليه درعاً وخرج بجنده غازياً فقال:

أيا قائد الأبطال في كل وجهةٍ تطيرُ قلوب الأسدِ فيها من الذُّعرِ

لقد قلت لما أن رأيتُك دارعاً أيا حُسن ما لاحَ الحبابُ على النحرِ

وأنشدتُ والأبطالُ حولك هالةٌ أيا حسن ما دار النجومُ على البدرِ

فسِر مثلما سار الصباح إلى الدُّجى وأب مثلما آب النسيمُ عن الزهرِ (203) .

وكثيراً ما كانت تظهر عاطفة الابن اتجاه أبيه عندما يقع في السجن فيحاول الابن التخفيف عنه، يؤنسه في وحشته ويتجلى ذلك في قول أبو جعفر بن سعيد:

مولاي إن يحبسك خيرُ خليفةٍ فبذاك فخرُكَ واعتلاءُ الشأنِ

فالجفن يحبس نوره من غبطةٍ والمرهفاتُ تُصانُ في الأجفانِ

فابشر فنزعُ الدُّرّ من أصدافه يُعليه للأسلاك والتيجان

ولئن غدا من ظل دونك مطلقاً إن القذى مُلقىً عن الأجفان

ولئن تحبسُ دائماً أجفانها وهدايةُ الإنسان بالإنسان(204).

كما أولى الأب الأندلسيّ اهتماماً بالبنتِ منذ اليوم الأول من ولادتها ، فكان يطلقُ عليها اسم إحدى شهيرات الإسلام مع كنيه تُنادى بها مثل أُم الحكم، وأُم كلثوم ،

كمـــا ويطلـــق عليها اسم مستمدٌ من أسماء الزهور ، فقد كان للمنصور بـــن أبـــي عامـــر ثلاث بنات سماهُنَّ : (بهاراً ونرجساً وبنفسجا) وذكر ذلك الوزير الجزيري (205) فقال عن النرجس :

حيتك يا متمر العُلا والمجلسِ أزكى تحيتها عيون النرجسِ(206) .

وعن بنفسج قال:

شهدتُ لنوّار البنفسج ألسنٌ من لونه الأحوى ومن إنياعه(207) .

وعن بهار قال :

أنا نرجس حقاً بهرتُ عقولهم ببديع تركيبي فقيل بهـــار(208) .

فكثير من النصوص الشعرية ،تؤكد عدم التفريق بين الذكر والأنثى ، فهذا ابن عمار الأندلسي يهنئ المعتمد بن عباد الذي ولد لة ولدان ، ذكر وأنثى يقول :

أهنا بنجليك من أُنثى ومن ذكر لا تعدم الضوء بين الشمس و القمر(209) .

وممـــا يؤكد ويدعـــــم ذلك ما تحدث به الملك عبدالله بن زيرى المتوفي سنة(483) ، أنه من نِعم الله عليه أن جعل بِكْرَ أولاده ابنةً(210) .

فكانت صلة الابنة بأبيها قائمة على الاحترام المتبادل، وتبادل الآراء لها حق اختيار شريك حياتها، فهذا يحيى الغزال المتوفى سنة (250)هـــ يورد لنا قصه، فتاةٌ خـــيرها أبوهـــا بين شاب فقير أو شيخ غني، وهذا إن دلّ إنّما يَدلُ على مكانة البنت عند أبيها قائلاً:

وخيرّها أبوها بيـــن شيـــخٍ كثير المال أو حدثٍ فقيـــر

فقالت : خطتا خسِفٍ ،وما إن أرى من خطوةٍ للمستخيـــر

ولكن إن عزمت فكل شـــيءٍ أحبُ إليَّ من وجـــه الكبير

لأن المرء بعد الفقـــر يُثرى وهذا لا يعود إلى صغير(211) .

وقـــد أوردت هـــذه الأبيات وإن كانت لشاعر ليس من شعراء الفترة التي أنا بصـــدد دراســـتها ، حتى أؤوكد مكانة وقيمة الابنة عند أبيها ولم يتبدل الأمر بتقادم الزمـــن ، وتغـــير الظروف ،فقد ظلت الابنة تتمتع بهذا الحق في كل العصور،فهذه بثيـــنة بنـــت المعتمد(212) ،ترسل إلى أبيها تستشيره في أمر زواجها من ابن تاجر

إشـــبيلية لما أراد الدخول بها امتنعت وقالت : "لا احل لك إلا بعقد الزواج إن رضى آبي بذلك"(213)، فوجهت كتاباً لأبيها وانتظرت الجواب عليه، ومما جاء فيه قولها:

اسمعْ كلامي واستمعْ لمقالـــــــتي   فهيَ السّلوكُ بدت من الأجيـادِ
لا تُنكروا أنيِّ سُبيتُ وأنّـــــــني   بنت لـــــــملكٍ من بني عباد
ملك عظيمٍ قد تولىَّ عَصــــــرُهُ   وكذا الزمانُ يؤول للإفســـادِ
لمّا أراد الله فُرقة شملـــــــــنا   وأذاقنا طعم الأسى مـــن زادِ
وأرادني لنكاح نجلٍ طاهـــــــرٍ   حَسَنَ الخلائقِ من بني الانجادِ
ومضى إليك يوم رأيك في الرضـــى   ولأنت تنظرُ في طريق رشادي
فعساك يا أبي تُعرِّفني بـــــــــه   إن كان ممن يُرتجي لـــوِدادِ
وعسى رميكيه الملوك بفضلـــــها   تدعو لنا باليمنِ والإسعـادِ(214) .

فكتب إليها هذا البيت يبارك لها فيه زواجها ، فيقول:

بُنيتي كوني به برة   فقد مَضى الوقتُ بإسعافه(215) .

وكثـيراً مـا وقف الآباء موقف الحيرة في اختيار الرجل المناسب لبناتهم، فنقل لنا المقـري صـورة ذلك الأب قائلاً:("يا بنيَة، إني أصبحت على حيرة من أمرك، مما يخطـبك من الملوك، وما أرضيت واحداً إلا أسخطتُ الباقين، فقالت له: أجعل الأمر إلـي تخلـصُ، فقال:وما تقترحين ؟فقالت: أن يكون ملكاً حكيماً، فقال:نِعْم ما اخترته لنفسك" (216).

وكـان الآبـاء الأندلسـيون حريصين على ألا يزوجوا بناتهم إلا للأمجاد من الرجال ، ضمانا لمستقبلهن ، يقول ابن حمديس:

أما بناتي المفردات فإنها   من الحسنِ أشهر من بناتِ حبيبِ
لا ينكح العذراء إلا ماجد   تبقى بعصمته بقاءَ عصيـبِ(217) .

فقـد يمـانع الوالد زواج ابنته إلا من الرجل الكفؤ لها ، فيرى في ذلك صيانة لها ، وضماناً لحقوقها.

كمـا ويحـرص الأبُ الأندلسـيّ علـى تنشئة ابنته على الصلاح ، ومكارم الأخـلاق، منذ اليوم الأول من ولادتها وحتّى انتقالها إلى بيت الزوجية، تعيش معه في ودٍّ واحترام بعيدا عن ذم عشرته، يقول ابن حمديس عن إحدى بناته:

فيا غرسة للأجرِ كنتُ نقلتـــــها		إلى كتفي صوناً، وألحقتهـــا ظلي
وأنكحتها من بعد صدقِ حـــمدته		كريماً فلم تذمم معاشرة البعل(218).

وعلى الرغم من تلك العلاقة الحميمة، التي تربط الأب بابنه ، إلا أنْ بعضهم لم يتورع عن هجاء أبنائهـــم فنجد الأعمى المخزومي(219)،يهجو ابنه هجاءً حاداً (220)، فينعـــته بخلافـــة الطـــبع، وكِلال الذهنْ ، وسوء الخلق ، ويتندر عليه في أسلوب لاذع يقول :

الحق أبلج ليس أنت وحق مـــــنْ		أحيا بك الأجلاف ممن يفلـــح
لا تهتدي بفضلة، لا ترعـــــوى		بملامة، لا أنت ممن يصلـــح
يزداد عقلك ما كبرت تناقـــــصاً		وتلج في صمم إذا ما تنصـــح
أكل وسلح كل حين لا تـــــــرى		لواهما ما دمت حياً تطمـــح
أسخنت عين المجد يا ابن عميرة		ولقد تقر عيونه لو تذبـــح(221) .

وهـــذا جعفـــر بن أحمد(222) يشير إلي ضعة أبيه وكان من شُرط ابن مجاهد بدانـــيه، مشهور بلؤم المكسب وضعه المركب، صاحب عصاً شوهاء، ودعوةٍ غير ذات سناء يقول:

وعصا أبينا إنها الآليةٌ		شوهاءُ إنك شوهةُ الوزراء(223).

وهكذا فقد أفصحت تلك النصوص الشعرية في مجملها عن طبيعة العلاقة بين الآباء والأبـــناء، تلك العلاقة القائمة على الاحترام والمودة، وتبادل الآراء، علاقة لا زيف فيها ولا بطلان، لأن مضمونها يبحثُ في علاقات إنسانية سامية.

2.2 : رثاء الآباء أبناءهم :

صوّر الشّعر الأندلسيّ الآباء المنكوبين تصويراً دقيقاً، وذلك عندما يُصاب الأب بفقد ابنه مخلفاً له الحسرة والحزن والألم، فلا يملك الأب سوى رثاء ابنه، لعله يخفف ما ألمّ به من حزن وهمّ، فماذا نتنظر من أب فقد ابنه غير أن يصرخ وينتحب ويصاب بالذهول، ويلعن الأقدار القاسية وينظم شعراً حزيناً موجعاً.

وربمـــا كـــان شـــعر أحمـــد بن عبدربّه الأندلسيّ في ولديه، أرق شعر له، وأصدقه عاطفـــة(224)، ناطقـــاً بعاطفة الأبوّة ومشاعر الحنان(225) فلقد صور حالة الأبِ الذي ينظر إلى ابنهُ المريض، يتقلب على فراش الموت بين يديه، فيلجأ إلى الطبيب،

ولكن إرادة الله سبحانه وتعالى لا تجعل الشفاء على يديه، فليس أمامه إلاّ التوجه إلى الله بالدعـــاءِ والابتهال في جُنح الظلام، دعاءٌ صادرٌ عن قلبٍ محترقٍ يمور بعاطفة صادقه يقول:

بنيَّ، لئن أعيا الطبيب ابن مســلم ضناك واعياً ذا البيان المُشــيــعِ
لابتهلنَ تحت الظلام ، بدعـــوةٍ متى يدعُهـــا داعٍ إلى الله يــسمعِ
تَغلْغلَ من بينا الضلوع نشيـــجُها له شافع مـــن عبرةٍ وتــــضرعِ
إلى فارج الكرَبِ المجيب لمن دعا فزعت بكربــي، إنه خير مــفزعِ
فيا خير مدعوّ، دعوتك فاستمــــع ومالي شفيع غير فضلك فاشفعِ(226)

وتشـــاء إرادة الله أن يموت الابن فيصاب ابن عبدربّه بالذهول ، فانطلق لسانه بشعرٍ مؤثــرٍ صورّ فيه صغر سن ولده ، فهو ما يزال فريخاً لم يكتسِ الريش حتى ضمه الموت ، وخال أن جميع من حوله على وجه البسيطة قبر لطفله ، فكأنه حين دفنه ، قد دفن شطر من فؤاده ، يقول ابن عبدربّه :

على مثلها من فجعةٍ خانني الصبرُ فراقُ حبــيبٍ دون أوبته الحشـــــرُ
ولي كبدٌ مشطورةٌ في يد الأســى فتحت الثرى شطراً وفوق الثرى شطرُ
يقولون لي صبّر فـــــؤادك بعــده فقلتُ لهم: ما لي فؤادٌ ولا صــــبرُ
فريخٌ من الحمر الحواصل ما اكتسى من الرّيش حتى ضمّــه الموت والقبرُ
إذا قلــتُ: أسلوعنه هاجــت بلابلُ يجددها فكـــــرٌ يجـــددهُ ذكــــرُ
وأنْظُرُ حولي،لا أرى غير قبــره كأن جميع الأرض عندي له قبرُ(227)

ولعلنا نلمسُ الصدق العاطفي في أبيات ابن عبدربّه السابقة ، فهو يعزف على وتر حزيــن ، فيأتي الصدق يترقرق من رثائه ، لأنه واقعي يستمد معانيه وأحاسيسه من حــزنه الّــذي يعانيه (228) ، نتيجة فاجعة أصابته في ابنه الصغير ، فالشعر جاء بأسلوب المحاورة ، و جاءت مسحة الحزن و التأسي واضحة كل الوضوح .

و تعكــس مراثـــي ابن عبدربّه لابنه أحوالاً نفسيّة مرَّ بها الشّاعر، و هي في جملــتها تعــبّر عــن لوعــة الأب المفجوع بابنه مع التسليم بقضاء الله و الاستعانة بالصّــبر، كمــا فـــي الأبيات التالية الّتي يصوّر فيها مأساته به و حزنه الكبير عليه

وتضـــارب المشاعر في نفسه، فهو يحدّث نفسه بالتصبّر و الجلد و لكن سرعان ما يغلبه الأسى فيعود إلى الاستغراق في أحزانه:

بليت عظامك والأسى يتجددُ   والصبرُ ينفدُ والبُكا لا يَنْفَــدُ
يا غائباً لا يُرتجا لإيابــــــه   ولقائهِ- دون القيامةِ موعــدُ
ما كان أحسن ملحداً ضمّنــته   لو كان ضم أباك ذاك الملحدُ
وباليأس أسْلو عنك لا بتجلُّدي   هيهات أين من الحزين تجلدا(229) .

فالـــنص حزيـــن ، يســـتثير الدمع، ويؤثر في نفس القارئ ، فيجعلهُ يشارك الشـــاعر أحـــزانه، فمخاطبة المرثي بحد ذاتها مناجاة تُعبر عن مدى مرارة الفقد ، ووفـــاء الأب لابنه حتى بعد الموت (230)، ولعل جمال المطابقة بين (بلى العظام) و(تجدد الأسى) تكشف عن مدى الحزن الذي أصاب الشاعر نتيجة فقده لإبنه .

ويســـتمر الشـــاعر في حزنه على ولده، فلو لم تخطفه يد المنون لأحيا الدين والسنن وبّينها للناس، فلا شيء يعوضه عن فقدان ولده، حتى لو عُرِضت عليه الدنيا بأكملها لما كانت عوضاً له يقول:.

لهفي على ميتٍ مات الـــسرور به   لو كان حياً لأحيا الدّين والسُّننا
وآهاً عليك (أبا بكر) مُـــــــرددةً   لو سكنت ولهاً أو فترّت شجناً
يا أطيب الناس روحاً ضمّه بـــدنٌ   أستودعُ الله ذاك الروحَ والبدنـــا
لو كنتُ أُعطى به الدّنيا معاوضةً   مـــنه لمـــا كانت الدنيا له ثمـــنا(231).

ورثـــى ابن حمديس ابنته في قصيدة ، تُعد في قمة مراثيه ، وكان قد بلغ من الكـــبر عتياً فقد قالهـــا وهو في قمة الثمانين من عمره ، تحدث فيها عن نفسه ونعى فيها شبابه :

أرى الموت في عيني تخيل شخصُهُ   ولي عُمُرٌ في مثله يتقي مثلـــــــــي
وكادت يدٌ منه تشد على يـــــــدي   ورجلٌ له بالقرُب تمشي على رجلي
ثمانون عاماً عشتها ووجدتهـــــــا   تهدم ما تبني وتخفض من تُعلى(232).

فلـــم يســـتطع الشاعر أن يتجلد أمام فقده لابنته ، لأنه أصبح شيخاً هرماً(233)، تـــتوالى علـــيه الأحـــزان، فلا يستطيع الصبرّ على ما حلَّ به من أهوال وأحزان ، فضاق ذرعا بالحياة والأحياء ، يقول :

فيا سائلي عن أهلِ ذا العصر دَعْهُمُ فبالفرعِ منهم يستدل على الأصلِ
إذا خللُ في الحال منك وجدتــــــه فإياك والتعويل منهم على خـــلّ
وهمٍّ له حملٌ على الهم ثقلُــــــهُ فياليته منه على كاهل الكهـــــلِ
وقسوةِ أفضى على نزع روحـــــه وشقّ إليها بين أنيابه العصـــــلَ
فما للردّى من منهلٍ لا نُسيغُــــــهُ ووٌاردهُ يغني عن العلّ بالنّهل(234) .

فجــزع ابــن حمديــس علـــى فقــده لابنته ، فكانت بَرَّةً بوالديها وذات دين وفضـــل،حتىّ تمـــنى لـــو أن الموت وافاه بدلاً منها، فهي ركنٌ أساسيٌّ في الأسرة، وفقدهـــا يُوَرث أهلها الهم والحزن،ومما عمّق حزنه عليها أنها ماتت وهي تظن أن والدهـــا قد توفى قبلها في ديار الغربة، بعيداً عنها فحزنت عليه ،وبكته بكاءً حاراً ، فماتـــت حزيـــنة عليه، لاتعلم أنَ والدها مازال حياً في ديار الغربة ،فقد جاءه خبر وفاتهـــا،وهو بعيدٌ عنها لم يرها وهي في فراش الموت يُودعها، قبل أن تغادره إلى الحياة الآخرة ، مما زاده ألماً وحسرةً عليها يقول:

أتاني نعيٌّ أذكى جوى الأســـى عليّ: اشتعال النار في الحطبِ الجزلِ
وجاءك عنيّ نعيُ حيّ فلم يُجزِ لك الكُحل فيه ما لبستِ من الكحـــلِ
فمتّ بما شاء الإلهُ ولم أمـــتُ ليكتُب عمري من حياتي الذي يملـــى
وفارقت روحاً كان منك انتزاعه أدقّ دبيباً في الجسومِ من النمـــــلِ
أراني غريباً قد بكيتُ غريبـــةً كلانا مشوقٌ للمواطنِ والأهـــــلِ
بكتني وَظنّتْ أنني متُ قبلـــها فعشت وماتت وهي محزونة قبلـــي
أقامت على موتي الّذي قيل مأتما وأبكت عيون الناس بالطل والوبـــلِ
وكل على مقدار حسرته بكـــى عليّ ولاقى ما اقتضاه من الشكـــلِ
أساكنة القبر الّذي ضمّ قُطـــرُهُ على البر منها والديانة والفضـــلِ
أصابك حزنٌ من مُصابي قاتــلٌ فهل أجلٌ لاقاك قد كان من أجلـــي
وخلفت في حجر الكآبة للبكـــا بنات لأم في مفارقة الشمـــــلِ(235) .

ومن أروع ما قيل في بكاء الأبناء(236) ، مقطوعة لفقيه الأندلس أبي الوليد الباجـــي(237)، نـــدب بهـــا ابنيـــن له ماتا وغربا كوكبين ، وكانا ناظري الدهر ، وساحري النظم والنثر يقول :

رعى الله قبرين استكانا ببلـــدة هُما أسكناها في السّوادِ مــن القـــلب

لئن غُيبّا عن ناظري متـــبوءًا فؤادي لقد زاد المتباعدُ في القــــرُبِ

يقرُّ بعيني أن أزور ثراهـــما وأُلصق مكنون الترائبِ بالتـــرُبِ

وأبكي وأُبكي ساكنيها لعلّـــني سأنجد من صحبٍ وأسعدُ من سُحبِ

فما ساعدت وُرْقُ الحمام أخاً أسىً ولا روَّحتْ ريحُ الصَّبا عن أخي كرْبَ

ولا استعذبت عيناي بعدهُما كَرىً ولا ظمئت نفسي إلى الباردِ العذبِ(238) .

فالأبــيات، تفــيض بالشعور الصادق، الّذي يعبر عن نفسٍ مجروحةٍ قدْ هدّها الهم، وضعضـــعها الحزن، وإنَّ صاحبها لجزع أشدّ الجزع، مُلتاع أعظم التياع، فقد جمع الشـــاعر بين ثكل الولدين معاً، وبين وفاتهما في اغترابهما، فتمنى أن يجد القبرين، وأن يُلصـــق صدره فوق ذلك الثرى الّذي ضم فلذتي الكبد، كمـــا رثى ابنـــاً آخر لـــــه اسـمه(محمـــد) بشعرٍ يعبر عن الحزن الّذي ألم به، بعد فقده، إذ يخبره بأنه سيلحق به قريباً بعد أن كان يظن أنه سيموت قبله يقول:

أمحمداً، وإن كُنت بعدكَ صابراً صَبْرَ السليمِ لما به لا يسـلمُ

ورزُئتُ قبلك بالنبيّ محمـــــد ولرزؤه أدهى لديَّ وأعــظمُ

فلقد علمتُ بأنني بّك لاحـــقٌ من بعد ظنّي أنني مُتقـــدمُ

لله ذكرٌ لا يزال بخاطــــــري متصرفٌ في صبْره مُستحكمُ

وبكلِّ أرضٍ لي من أجلكَ لوعـــةٌ وبكلِّ قبرٍ وقفةٌ وتلـــــوُّمُ

فإذا دعوتُ سواك حاد عن اسمه ودعاه باسمك مُعولٌ بك مُغرمُ

حُكمُ الردى ومناهج قد سنـّها لأولى النُّهى والحزن قبل مُتمّمُ (239) .

وربمــا كان أهم شاعرٌ ولع برثاءِ ابنه وبكائه الحصري، الّذي رثى ابنه عبد الغنـــي المـــتوفى سنة (475)هـــ توفي وهو في التاسعة من عمره، فنظم فيه مراثي علـــى حروف المعجم ألفّ منها ديواناً سماه (اقتراح القريح واجتراح الجريح)، إذ كـــان ملازماً لقراءة القرآن الكريـــم ، يُحسِن ترتيلهُ، ويحسن التفريق بين القراءات والروايات(240)، يقول:

حاشاك من نار على الأحشـــاءِ يزداد ضِعفاً حرها بالمـــاء

عزيتني فيما ترى ،وعزوتنـــي للصابريــن ولات حين عزاءِ

من لي بأجر الصابرين وأعظمي ... موهونة من أعظـــم الأرزاءِ

أودي الّذي في وجهه ويميـــــنه ... ماءان ،ماء حيا،ومـــاء حياءِ

لو كان كل ابن نجيباً مثـــــــله ... مَـنع الأبــاءُ بكاً على الأبناءِ

تسعى الرجال فلا تنال بحرصها ... ما نال في تسع من العليـــــاءِ

سالت حشاشة نفسه من أنفــــــه ... فشهدت منه مصرع الشهداء(241)

وهذا الشاعر ابن صارة الشنتريني ، يرى في موت ابنته ستراً لعورتها ، بل لقد كفاه الموت مؤونتها ، يقول:

ألا يا موتُ كنت بنا رؤوفاً ... فجددت الحياة لنا بـــــزوره

حمّاد لفعلك المأثور لمـــّـا ... كفيت مؤونةً وسترت عوره

فأنكحنا الضريح بغير مهرٍ ... وجهزنا الفتاه بغير شوره(242) .

فهذه الأبيات تؤكد لنا خوف الأب على ابنته وخشيتهِ من أن تقع فريسة في يد العدو فيرى في موتها ستراً لها لا كرهاً لها بشخصها ،فالأب لا يفرق بين ابنه وابنته فكلاهما عنده سواء .

ولعـــل أبـــا حيان الأندلسيّ من أكثر الشعراء الّذين رثوا بناتهم وبكوا عليهنّ بكـــاءً حـــاراً، فكان يعزها كثيراً، بل ويفضلها على أخيها حيان، لأنها كانت عالمة معـــربة مؤدبـــة، فلما توفيت حزن عليها حزناً عظيماً، وانقطع عند قبرها، ولازمه ســـنه، وفـــي ديوانه اثنتا عشرة قصيدة في رثائها وفي كل هذه القصائد يتحدث عن حـــزنه، ولوعـــته، وعن علمها وذكائها، وفطنتها ويصور ما كان يعتريه وهو مكب على قبرها يذرف الدموع، يقول:

ضريح بنتي جعلت بيتي ... وقلتُ: ليتي أموت؟ ليتـــي

قدوم حي يغيب يُرجى ... وليس يُرجــــى قدوم ميتِ

يا عين إبكي دماً عليها ... فليس يجري دمعٌ بكيـــتِ

يا ليلة البينِ من نضارِ ... صدعت قلبي بما جنيـــتِ

يا تربةً قد حوتِ نضاراً ... طبتِ شذاً بالّذي حويـــتِ

وعيتِ عقلاً وبحر علمٍ ... وسؤدداً بالّتي وعيـــتِ

أمضني الحزن يا نضارٌ ... وصرتُ مضني لما مضيتِ

أصبحت فرداً فليت أنيِّ قضيتُ نحباً لمّا قضيـــتِ
وإن بيتاً أضحى محلاً لخيرِ بنتِ لخيرُ بيْتِ(243) .

فالشاعر يخاطب التربة التي ضمَّت جسد ابنته (نِضار)لأنها فتاه حوت عقلاً وبحر علمٍ وسؤدداً، ذات خلقٍ رفيع، لكنها لم تستِمتع بشيء، فسرعان ما انتقلت إلى العالم العلوي، بعد أن آمنت بقضاء الله، لتعيشْ روحها في جنة الخلد.

ومضــت الأعــياد، وأبــو حيان جالس على قبر ابنته نضار، لا يفارقه ولا يستطيع نسيانها يقول:

إنّ جسمي مقيدٌ بالضريـــحِ وفؤادي وقفٌ على التبريـحِ
ولعيني إذا ذكرت نـــضاراً مرد من دماءِ قلب جريـــحِ
راحَ عيدٌ وبعدُ عيدٌ كبـيـرٌ ونضارٌ تحت الُذَرى والصفيحِ
ونضارٌ كانت أنيسي وحُبيَّ ونضارٌ كانت حياتي و روحي
ونضارٌ أبقت بقلبي حُزنــاً ليس ينفكُ أو أُوافي ضريـحي
لم يكنْ للنضارِ يوماً نظيرٌ فيْ ذكاءِ لها وعقلِ رجيـــحِ
وإن تكن قد تقدّمت وبقينــا بُرهةً في زماننا المسفـــوحِ
فعلى إثرها نروح ونرجــو عفوَ ربِّ عن الذنوب صفوحِ(244)

فالشــاعر يتحدث عن ذكائها وعقلها الرجيح ، وحيائها ، ومعرفتها في علوم الفقــه والحديــث والنحو والتاريخ ، فنضار بالنسبة له روحهُ التي يعيش بها ، وإن كانت قد سبقته إلى العالم العلوي ، فإنه سيلحَق بها عن قريب ليلتقي بها وتكون أُنسه الذي فقده في الحياة الدنيا .

وفــي بعض قصائده يتحدث عن مرضها، وما كانت تعانيه من حُمى، وسُل، وسُعال، أنهك قواها، فمضت إلى بارئها قبل أن تتمتع بجمالها، وعلمها الجم الغزير، فقد تحملت تلك الآلام بقلبِ مؤمنٍ، على أن قضت نحبها يوم الاثنين:

أمِنْ بعد أنْ حلَّت نضيرة في الرمسِ تطيب حياتي أو تلذُ بها نفـــسي
فتَاةٌ عراها نــحو ستةِ أشــــهرِ سقامٌ غريبٌ جاءَ مختلف الجنــسِ
فحبنٌ وحُـــمَّى ثم سلٌ وسعــــلة وسكب فمن يقوى على عللِ خمسِ
وكانت رأت رؤيا مـــراراً وأنها ترَوح من الدنيا إلى حضرةِ القدسِ

فما ضجرت يوماً ولا اشتكت الضنى ولا ذكرت ماذا تقاسِ من اليـــأسِ
قضت نحبها في يوم الاثنين بـــعدما تبدَّى لنا قرنَ الغزالةِ كالورسِ(245).

ولا يـــنفك أبو حيان في قصائده الأُخرى عن ترديد هذه المعاني ، نحس في جميعها بالألم الّذي كان يعتصره ، والحزن الّذي ألمّ به بعد فقد ابنته نضار ، فلا شيء يملأ عينه بعدها، وهاهو يعتزل الناس ، ويعزف عن مخالطتهم بعد ابنتـــه نضار،يقول :

عزفتُ نفسي عن هذا الورى ، بعدمـــا حلت نُضار في الثرى
فبسمعي صمم إن حدّثـــوا وبعيني نبوةٌ أن تنظـــــروا
كيف لي عقلٌ بأن أصحبهـــم لا أرى وجه نضار النيـــرا
لاولا أسمع من ألفاظـــــها كلما قد أبرزتـــها دُررا(246) .

وتـــتابع علـــيه الآلام ، فـــيفقد أبناءه واحداً تلو الأخر ، فكان أهل بيته خمسة تشـــرق المـــنازل مـــنهم ، ولكنهم مضوا إلى دار البقاء ، وظل وحيداً يندب حظه ، ويشكو من هذه الدنيا الفانية يقول :

ما لقلبـــــي مُقسم الأفكارِ وكأن قد حُشي بجمرة نــــــار
قد دهتني من الزمانِ خطوب ضاق عن حملها جميل اصطباري
دمع عيني لفقد حيان وحيـــا ن بوحَّيان والنُضار ين جـــــار
أتراها من الغمام استمـــدت أو أُمدت من زاخرات البحـــار
خمسةٌ تشرقُ المنازل منهـم أدرجوا تحت ظلمة الأحجـــار(247) .

وهذا أبو الوليد بن عفير ، يرثي أبناءه الذين اختطفهم الموت، ويحن إلى أبنائه الآخرين ، الذين باعدت الأيام بينه وبينهم يقول :

أودى ببعض بنى غائلة الردى ونأت ببعضهم علـــيَّ بـــلاد
فَنَعِيُّ إبراهيم شبَّ بأضـــلعي لهب مشيب الرأس عنه رماد
وأذمُّ عمري بعد فقد محمـــد إن لم يحن منه على نفاد(248).

وقـــد توفيـــت ابـــنة المعتضد بن عبادٍ، وهي فتاةٌ ما تزال في ريعان شبابها، فكانـــت أثيرة لديه، فحزن عليها حزناً شديداً، امتثله أهل مملكته في إظهاره، وحضر خواصهم شهود جنازتها، وكان دفنها في اليوم السابق لوفاته عام (461)هـــ (249)

وهـذا المعـتمد بن عباد يرثي ابنيه المأمون(250)، والراضي(251)، بشعر يعبر عن مدى الأسى، والحزن والتفجع الّذي يواجهه الأب بسبب فقده لولديه، اللّذين حـرص على تربيتهم وفخر بهم على أقرانه في المجتمع، ومما عمّق من حزنه على ولديـه أنهمـا توفيا وهو في محنة الأسر، لا يستطيع رؤية ولَدَيْه في آخر لحظاتهم، فزاده هذا الأمر ألماً وحسرةً وتفجعاً، طالباً من النجوم أن تبكي ولدية(252)، يقول:

بكتْ أن رأت إلفين ضمَّهما وكرُ ... مساءً، وقد أضنى على إلفها الدَّهـرُ
بكتْ لم تُرق دمعاً، وأسلبتُ عبرةً ... يُقصّرُ عنها القطْر مهما همى القطـرُ
وناحت و باحت واستراحت بسّرها ... وما نطقت حرفاً يبوح به سـرُ
فمالي لا أبكي أم القلبُ صـخرةً ... وكم صخرةٍ في الأرض يجري بها نهرُ
بكتْ واحداً لم يُشجهـا غيرُ فقده ... وأبكي لألاّفٍ ، عديدُهم كُثـرُ
بنيّ صغيرٌ ، أو خليلُ ، موافق ... يُمزّق ذا قفرُ ، ويُغرق ذا بحـرُ
ونجمان زينُ للّزمان احتواهما ... بقرطبةَ النّكداء أو رُندة القبـرُ
غدرتُ ، إذاً إن ظنَّ جفني بقطره ... وإن لُؤمت نفسي ، فصاحبها الصبُـرُ
فقل للنجوم الزُّهر تبكيهما معي ... لمثلهما فلتحزن الأنجمُ الزُّهـرُ(253).

ويستمر المعتمد بن عباد ، وهو يرسف في قيوده في سجن أغمات ، في بكاء ولديه الفتح ويزيد ، في شعرٍ يفتت الكبد ويفت العضد ، ففقدهما يُورّث الألم والحزن لواليهما ولأخواتهما يقول :

يقولون صبراً :لا سبيل إلى الصَّبـر ... سأبكي، وأبكي ما تطاول من عُمري
هوى الكوكبان : الفتحُ ثم شقـيقـهُ ... يزيدُ فهل عند الكواكب مـن صَبْرِ
نرى زُهرها في مأتمٍ كلَّ لـيـلة ... تُخمَّشُ لهفاً وسطهُ صفحـةُ البدرِ
ينحن على نجمين ، أُثكلـتُ ذا وذا ... وأصبر،ما للقلب في الصَّبر من عُذرِ
مدى الدهرُ فليبكِ الغمامُ مصابـه ... لصنويه يغدرُ في البكاء مدى الدَّهـرِ
بعين سحابٍ واكفٍ قطرُ دمـعـها ... على كلّ قبر حلَّ فيـه أخو القطرِ
تولّيتما حين انتهت بكما العُـلا ... إلى غايةٍ ، كلٌّ إلى غايـةٍ يجري
فلو عدتُما لاخترتما العود في الثّرى ... إذا أنتما أبصرتمانـي في الأسرِ
أبا خالدٍ أورثتني الحزن خالـداً ... أبا النصْر،مذ ودَّعت ودَّعني نصري(254)

فقــد فُجع بهما وهما في ريعان شبابهما، فهما كوكبان قد هوى نجمهما، مبيناً أنهمـــا لو عادا إلى هذه الدنيا وشاهدا والدهم وهو مقيدٌ بالحديد في أسره لاشك انهما سيفضـــلان العـــودة إلـــى الثرى، فهو أخف عليهم من مشاهدة والدهم في مثل هذا المنظر الحزين بعد جلالة القدر والمكانة.

فالـــناظر فـــي شعر رثاء الآباء ابناءهم، يستشف مدى الأسى والحزن الّذي يواجهـــه الأب، بسبب فقده لابنه، فيبكيه بشعر يتفطر الماً وتفجعاً، ينمُّ عن أسىً بليغ وحـــزن عميقٍ، وعاطفةٍ جياشةٍ وصادقةٍ يحس فيها القارئ بصدق المعاناة، واكتواء الجوى، وحرقة الفقدان لا زيف فيها ولا مبالغة.

2 . 3 : رثاء الأبناء آباءهم:

تكشـــف لـــنا النصوص الشعرية تلك العلاقة بين الأبناء وآبائهم، والتي تبدو أكثر وضوحاً في رثائهم لهم، إذ تظهر في هذه النصوص صورة الأب الورع التقي ذي الخلـــق الطاهـــر علـــى نحو ما نرى في قول الشّاعر ابن حمديس في رثاء أبيه يقول:

يدُ الدهرِ جارحةٌ آسيه ... ودنياك مُفنـــيـــــةٌ فانيـــــــه
وربك وارثُ أربابهـــا ... ومُحيي عظامهـــــــــــمُ الباليه
رأيتُ الحمام يبيدُ الأنامَ ... ولدغته مالهـــــــــــــا راقيه
وأرواحنا ثمراتٌ لـــــه ... يمدّ إليها يداً جانيـــــــــــــه
سقى الله قبر أبي رحمةً ... فسقياه رائحةٌ غاديـــــــــــه
وسير عن جسمه روحه ... إلى الروّح والعيشة الراضيـــــه
فكم فيه من خلقٍ طاهرٍ ... ومن همّةٍ في العُلى ساميـــــــه
ومن كرمٍ في العُلى أول ... وشمسُ النهارِ لهُ ثانيـــــــــه
أتاني بدار النوى نعيه ... فيا روعة السمع بالداهيـــــــه
فحمّر ما ابيضّ من عبرةٍ ... وبيّض لمستي الداجيـــــــــه
بدار اغتراب كأن الحياة ... لذكر الغريب بها خاسيـــــــه
ونُحت كثكلي على ماجدٍ ... ولا مسعدٌ لي سوى القافيـــــه
وما أنس لا أنس يوم الفراق ... وأسرار أعيننا فاشيـــــــــه

ومرت لتوديعنا ساعةً   بلؤلؤ أدمعنا حاليـــــــــه
ورحتُ إلى غربةٍ مُرةٍ   وراحَ إلى غُربةٍ ساجيــــــــه
سمعت مقالة شيخي النصيح وأرضي على أرضه نائيه (255) .

فالقصـــيدة تعـــبر عن إحساس الشاعر بالفقد والوحدة ، وقد أسلمه ذلك إلى تعداد المناقب التي طُويت بموت أبيه ، وقد أطال في ذلك على نحوٍ يدلّ على شعورهِ بفداحة الخطب الّذي أُصيب به ، وممّا عمّقَ هذا الإحساس في نفسه أنّ الأب قد مات والابــن في دار الغربة بعيداً عنه فلم يجد أحداً يُشاركه همومهِ ، ويتحمّل معه أثقال الفاجعة .

وهـــذا أبـــو الربيع الداني يرثي (256) ،أباه بعد أن أمر المنصور بقتله فظل يُضـــرب بالسياط حتى تناثر لحمه(257)، فقال الأولى منهما قبل أن يؤذن له بدفنه، وقال الثانية بعد ذلك، مصوراً فيها جسد والده العاري، من كل كفن أو ستره، مُرمى بـــه بـــلا رحمة، وقد تنكّر له أصدقاءه ومعارفه، ثم يصور لنا وقد تسلل ليلاً ليدفنه خلسة:

جهلاً لمثلك أن يبكي لما قـــدرا   وأن يقول أســـى يا ليته قبـــرا
فاضت دموعك أن قاموا بأعظمه   وقد تطاير عنـــه اللحم وانتثرا

ومنها:

ضاقت به الأرض مما كان حملها   من الأيادي فمجت شلوه ضجراً
وعز جسمك أن يحظى به كـــفن   فما تسربل إلا الشمس والقمرا (258) .

وعن مشاعر الابن المفجوع بأبيه،قول أبو عبدالله بن خلصة الضرير (259)، يرثي والده ، حتىّ تمنى لو أنه قد دُفن بدلاً منه ، يقول :

يا ضريحاً حوى عظاماً عظاما   لخليلٍ أمسيتُ منـــــه خليلا
أعياءً داويتُ داءً عيــــــاءً   و محالاً سألتُ رسماً محيلا
إن عهدي وإن بليـــــت جديد   كلما طال زاد شوقي طولا
كدتُ أقضي عليك نحبي نحيباً   وأرى ذاك في رضاك قليلاً
وأحل الثرى حلولك فيـــــه   بدلاً منك لو أكونُ بديلاً(260).

ورثى الأديب أبو علي إدريس اليابسي(261) ،أباه بمقطوعة ركزَّ فيها أحزانه في صورة الحمام الذي يبكي على فقد إلفه:

سأبكي إذا غنىّ ابنُ ورقاء هاتفاً وإن كان ما يعنيه ضدَّ الَّذي أعني

وما ندبت في مسمعي كل قينةٍ تغردُ باللحن البريَّ من اللحن(262).

وها هو الحصري، يرثى أباه، مودعاً قبره، وقت جوازه إلى الأندلس، راحلاً عنه بجسده، ومخلفاً قلبه وراءه حاملاً معه حفنةَ من ترابه، ليكون له ناقوساً في ترحاله داعياً له بالرحمة والسقيا من عند الله:

أبي نيرُ الأيام بعدك أظلمـــا وبُنيانُ مجدي يوم متَّ تهدمـــا

وجسمي الذي أبلاه فقدك إن أكن رحلت به فالقلبُ عندك مُخيما

وقى الله عيني من تعمد وقفـــةٍ بقبرك فاستقى له وترحمـــا

وقال سلامٌ ، والثواب جزاء من ألمَّ على قبر الغريب فسلمـــا

وأخذ من ترابه قائلاً:

رحلتُ وهاهنا مثوى الحبيب فمن يبكيك يا قبـــر الغريبِ

سأحملُ من تُرابك في رحالي لكي أُغني به عن كل طيبِ(263) .

وهكذا فقد كشفت لنا النصوص الشعرية تلك العلاقة الّتي تربط الأبناء بآبائهم، تلك العلاقة القائمة على الاحترام المتبادل، والمودة ، والصفاء، لا زيف فيها ولا مبالغة.

الفصل الثالث

الإمهات والأبناء والإخوة في الشعر الأندلسيّ

3. 1 : عاطفة الأُمهات والأبناء :

كـرّم الإسـلام الأمّ ورفع من شأنها وميزّ مركزها ، قال تعالى :" ووصيّنا الإنسان بوالديْه حَمَلتْهُ أمُهُ وَهْناً على وَهْن وفِصالُهُ في عامينِ أنِ أشكرُ لي ولوالديك إليّ المصيرُ "(264).

فقـد خصـت الآيةُ الأمّ بالذكرِ مشيدةً بتضحياتها من جمل وولادةِ ورضاعة الطفَـل سـنتين متتاليتيـن وما يرافقهما من السّهر والعذاب، " فكانت العربُ تسمي الأرض أمّـا، لأنهـا مبـتدأ الخلق ، وإليها مرجعهم ، ومنهـا أقواتهـم ، وفيهـا كفايتهم " (265).

ومـن الطبيعي أن يضمّ المجتمع الأندلسيّ كثيراً من الأُمهات المسيحيات إلى جانـب الأُمهـات المسلمات ، وقد بقين على دينهن دون أن يؤثرَ ذلك في علاقتهنّ بأبنائهن من ناحية وبأزواجهنّ من ناحية أُخرى ، ومن هؤلاء على سبيل المثال والدة عـبد الرحمـن الناصـر(مارية) ، من سبيّ الفرنجة وهي مسيحية (266) ، وقد حظيـت الأُم الأندلسية بمكانة رفيعة ، وممّا يدل على ذلك ظاهرة النسبة إليهن ، إذ انتسب عدد من الأُدباء والشعراء الأندلسيين إلى أُمهاتهم ، مثل ابن اللبانـة الدانـي (267)، وابـن عائشة (268) ، ابن الغاسلة، وغيرهم ، وقد نالت نصيباً من شعر المدح ، فأثنى الشعراء عليهن و خلعوا عليهن الصفات والخصال الحميدة ، (269) ، فـربما كـان السـبب فـي مدح ولد المنصور بـن أبي عامر كون أُمّه تميميـة أُسـمهـا(فـريهة بنت يحيى) فقد حاز على الشرف من طرفيه ، فقد أشار ابن درّاج القسطلي إلى ذلك قائلاً :

تلاقت عليه من تميم ويعرب ... شموسٌ تلألأ في العُلـى وبدورُ
من الحميريين الّذينّ أكُفَّهُـمْ ... سحائبُ تهمي بالنّدى وبُحورُ(270).

وها هو الأعمى التُطيلي يمتدح الحَرّة حواء زوجة سيْر أبي بكر ، مفتّخراً بها مبيناً برّها الّذي عمّ سكان الأرض جميعاً(271) ، قائلاً :

إليك أهديت مما حاكه خلدي ... فخراً يجدُ ، وتبلى هذه الحقبُ

قد عمَّ برُّكِ أهل الأرض قاطبة   فكيف أخرج عنه جارُك الجُنبُ(272).

فهي مثالٌ للخير ، وهي أفضل من كلِّ من سكن على هذه البسيطة(273) ، يقول :

حواء يا خير من يسعى على قدمٍ   ولستُ عبدك إن لم أقضي ما يجبُ(274).

وممّا يدلّ على مكانة الأم الأندلسيّة ، التشددُ في عقاب من يعقّها ، فيروى أن امرأة شكت عقوق ولدها إلى عبدالله بن باديس فأحضره ، وأمر بضربِ عُنقه ، فصاحت المرأة طالبةً منه ضربه بالسوط وتأديبه بدلاً من ضرب عُنقهِ فقال :لستُ معلماً للصبيان، وضرب عنقه (275) .

فقامت الأمّ في المجتمع الأندلسيّ بدورها في تنشئة أبنائها منذ ولادتهم ، وبحكم عاطفتها الصادقة تجاه أبنائها ، فإنّ علاقتها بهم قائمة على الحبِّ المتبادل ، والاحترام بعيداً عن الزيف والمبالغة ، ولهذا اهتمت بأبنائها ليكونوا أفراداً لهم مكانتهم في المجتمع الأندلسيّ .

وفي الجهة المقابلة كان الأبناء على وعي تامٍ بما تحمله الأم من حنانٍ وولعٍ لأبنائها ، ولذلك لم يُغفل الشعراء صورة عطف الأمّ في أشعارهم فقد يجد الشاعر أُمّه ملاذاً للرجوع إليها في فترات الضيق والحرج ، فيتوجه بكلمة كريمة لها ، فهاهو ابن زيدون ينّظم أبياتاً وهو في السجن ، يدعو فيها أُمّه أن ترفق بنفسها ، وتكفّ عن البكاء ، لأنها ليست أوّل من تُثكل بسجن ولدها ، طالباً منها أن تعتبر بأمّ موسى الّتي دفعت بابنها في اليمّ يقول :

أمقتولة الأجفان مالك والهاً   ألم ترِكِ الأيامُ نجماً هوى قبلي

أقلّي بكاءً لستِ أوّلَ حُرّةٍ   طوتْ بالأسى كَشحاً على مضض الثكل

وفي أمّ موسى عبرةٌ إنْ رمت به   إلى اليمّ في التابوت فاعتبري وأسلي(276).

ويصور لنا المعتمد بن عباد صورة زوجته (الأم) الثكلى الّتي فقدت ابنيها المأمون والراضي ، بعد خلع زوجها المعتمد من الحكم ، فيصورها حانيةً يتمزقُ فؤادها حسرةً وألماً (277) ، تتسكب دموعها كالغيث ، محاولة الصبر على ما ألمّ بها من فقد ولديها ، يقول :

معي الأخواتُ الهالكاتُ عليكُما   وأُمكما الثكلى المضرّمة الصّدرِ

تبكي بدمعٍ ليس للغيث مثلُهُ   وتزجُرُها التقوى فتصغي إلى الزجّرِ

تذلّلها الذّكرى فتفرغُ للبكا وتصبر في الأحيانِ شُحاً على الأجر(278).

وتــبدو العاطفة الصادقة والمشاعرُ الجيّاشة عند الأبناء تجاه أُمهاتهم جليّة في شعر الرثاءِ ، الّذي يبين حالة اليأس والحسرة الّتي يصل إليها الابن الّذي فقد أُمّه بعد أن تعهدته صغيراً وقامت على تنشئتهُ حتى أصبح شاباً .

ومــن الطبيعي أن يكون رثاء الابن لوالدته أصدق رثاء لأنه ينبع مِن معاناة حقيقــية ، فهذا عليّ إدريس بن اليماني ، يعزُّ عليه أن يرثي والدته بألفاظ تخرج من مكان دخول الطعام لكونها أجلُّ وأرفع من أن تُرثي بكلماتٍ كهذِه ، قائلاً :

وأمتنــــــــي إلى الأجداث أُمٌّ يعزُّ عليَّ إن صارت أمامــــــي
وأكبرُ أنْ يرثيهــــــا لساني بلفظِ سالك طُرُق الطعــــــامِ
ومن لي أنْ أصوغ الشهبَ شعراً فألبست قبرها سمطي نظــــامِ
مضت وقد اكتهلتُ فخلتُ أنــي رضيعٌ ما بلغتُ مدى الفطــامِ
فباركتَ المنونِ أمــــا رسولٌ يبلّغُ روحَهـــا أرَجَ الســـلامِ
ذكياً يسحبُ الكافور منــــــه بمثلِ المسك مفضوض الختــامِ
ألا نبّهننــــــــي قيناتُ بثٍّ بشمسٍ غضى فملــــنَ إلى بَشَامِ
وحمّاء المــلاط يضيقُ فوهاً بما في الصدر من صفة الغرامِ
تداعى مصعدا في الجيد وجداً فقال الطوقُ منها بانفصام(279).

فكانت مصيبته بها كبيرة لا يعد لها ما يقوله من ألفاظ الرثاء ، فقد شعر بفقده لهـــا كأنه طفلِ رضيع بعد أن هرم وطالت أيام عمره ، فتمنى لو أنه صاغ الشهب شعراً ليصنع قلادة يُلقيها على قبرها .

ومــن الّذيــن رثــوا أُمهاتهم الشاعر الأعمى التُطيلي ، وقد صوّر الخصال الحميدة الّتي تميزت بها حتى فاقت الرجال بتلك الشمائل قائلاً :

يا قبر أُم عليّ هل علمت بها إنَ السيادة بيــــــــــن الشُربِ والبدر
أنثى ولكن إذا عدُّوا فضائلها لم يدّعِ الفضل من أُنثى ولا ذكر (280).

فقــد رثاهـــا بشعرٍ بوأها المكانة الّتي تليق بها وتتشرف به كل أُنثىَ بل كل ذكــرِ ، فهي حافظةُ لكتاب الله عز وجل قوّامــة بالليل بالعبادة والتهجّدُ مُبتعدة عن الجورِ والظلمِ ، صوّامة ، تقيه ، ورعة يقول :

تتلو الكـــتـــاب ونــــتـــلو من مآثرها آياً كآيٍ ولم تــظــلم ولم تجُـــزِ
قـــوّامـــة الـــلـــيل تـــتـــلوه وتقنته على اختـــلافيه من طولٍ ومن قصَرِ
حتىّ إذا الصبحُ جلّي ليلهـــــا فزعت إلى صـــيامٍ بمرضاة الإ له حـــرى
كأن مجراهــــــــــا والليل معتكرٌ في هالة البدر بين البيضِ والعُشرِ (281)

وفي موضع آخر يقول :

أهلّـــــي بالبكاء وبالنحيب فقد نزح المحب عـــــــــن الحبيبِ
وقد وسع الحوادث يوم رزء تُضيق له الصدور مـــــــن القلوبِ
وآذنت المكـــــارم والمعالي بخطبٍ مات حتىّ في الخطوبِ(282).

وتبدو هذه الأمّ عفيفة طاهرة ، حافظة نفسها عن كلِ دنس خالية من العيوب الظاهرة ، تنتمي إلى نسب عالٍ تشهد له بالعزة والنعمة والعُلا فقد كان فقدها كارثة فجُعت به قلوب الشبان والشياب يقول :

أيا لهفَ العُلا على حصان مُبرأةِ العيون مـــــــن العيوبِ
ربيبة عزةٍ قعساء نابت مناب الشمس إلاّ فـــي الغروبِ
ولَم أرَ مثّل منعاها مُصاباً هفا بقلوبِ شباب و شيبِ(283).

ويرثي أبو الصلت أُميّة ابن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسيّ والدته وقد توفيت فجأة وكان بعض المنجّمين قد حكم بذلك في مولدها واتفقت الإصابة(284)، فكانت جليلة صادقة وفيّة ، فقد عبَّر في قصيدته عن أحزانه على أُمّه الّتي اختطفتها يـــد المـــنون ، ففقـــد بذلك مصدر العطف والحنان ، وهي أحزان متصلة لا تنقطع ومواجد حارّة لا تفتر يقول :

مدامع عيني استبدلي الدمع بالدمِ ولاتسامي أن تستهلي و تسْجُـــمِ
فحُقَّ بأن يبكي دماً جفن مقلتي لأوجب من فارقت حقـــاً وألزمِ
أخلاء صدقٍ بدَّد الدهر شملهم فعاد سحيلاً منهــــــمُ كلٌّ مُبرمِ
طوت منهم الأجداثُ أوجه أوجهِ وأيمن أيمانٍ وأعظــم أعظـــمِ
فقد كُثرت في كُلِّ أرضٍ قبورهم ككثْرةِ أشجاني ولهفي عليهـــمِ
وما تلك لو تدري قبورُ أجنَّة ولكنها حقـــاً مساقط أجســـامِ
رُزئتك أخي الناسَ بي وأبرّهم وأكبر بفقد الأم رُزءاً وأعظـــمِ

فأصبح دُرُّ الشعر فيك مُنظماً   وأصبحَ دُرُّ الدمـع غير منظـمِ
تصرَّم أيامي ، وأما تلهفي   فباقٍ على الأيام لـم يتصـرّم
كأن جفوني يوم أودعتك الثرى   نضحنَ على جيب القميص بعندمِ
يهيجُ لي الأحزان كلّ فلا أرى   سوى موجُع لي باذكارك مُؤلـمِ
أنوح لتغريد الحمائم بالضحى   وأبكي للمع البارق المبتسـمِ
وما اشتكي فقد الصباح لأنني   لفقدك في ليل مدى الدهر مظلمِ(285).

وتجدر الإشارة إلى أن النصوص الشعريّة الّتي جاءت تصوّر رثاء الأمهات لأبنائهـن في العصر الأندلسيّ نادرة ، إذ أنني لم أعثر على نصوصٍ أو مقطوعات شعريـّة بخصـوص ذلـك فـيما اطّلعت عليه من مصادر ، ودواوين الشعراء الأندلسـيين . وهكذا فقد نالت الأمّ جُلّ الاهتمام والرعاية من قِبل أبنائها في المجتمع الأندلسيّ ، فقد حازت منزلة رفيعة في نفوسهم تقديراً واحتراماً لها على الدور الّذي قامت به داخل الأسرة في المجتمع الأندلسيّ .

3 . 2 : صورة الإخوة في الشعر الأندلسيّ .

تُعـد العلاقـة الأخويـة من أسمى العلاقات الّتي تربط أفراد الأسرة بعضها ببعض ، فلعلّ العلاقة بينهم تسمو على ما سواها من العلاقات والأمور الّتي تعتريها الظـروف القاسـية ، حتى وإن كان هناك بعض المشاحنات بين الأخ وأخيه حول موضـوع مـا ؛ لأنَّ الأخ إذا أُصيب بمصيبـةٍ لجأ إلى أخيـه ، محاولاً التخفيف عنـه(286) .

ومـن القيمة الإنسانية للمرأة الأندلسيّة تكريمها أختاً وذلك بالسعي والاجتهاد فـي تـزويجها ممن يصونها ويحفظها، فنجد الأخ يحمل هم أخواته الأبكار ، نتيجة للظـروف والتطاحن السياسي وتقلبات ظروف الزمان ، هذا ما سجّله الأمير عبدالله بن زيري المتوفي في (483)هـ ، في مسألة تزويج أُختيه الأميرتين ، حيث قال :" رأينا من الصلاح النظر لمن معنا من البنات وتزويجهنّ قبل أن يفجأ أمرٌ فيكنَّ على غـير عصـمةٍ ولا كفـيل ، فتخيرنـا لهنّ من بني عمهما شاكلة منهم فعقدت لهما الـنكاح علـى أتـم ما يمكن ، واستعدت في سائر أمري بالأحزم ووكلت ذلك إلى

الأقــدار ، وقلــت هذا جهد الاستطاعة ، ودون جهدك لا تلام ، والله أن يقضي بما يشاء "(287) .

ومن مظاهر تكريمها ، سماع شكواها من قِبل الحكام ويتمثل ذلك في إنصافها ونــيلها حقوقها ، فقد بَعث أبو بكر البطليوسيْ رسالة إلى الحاكم يطلب فيها إنصاف أخــته مــن زوجهــا الّذي اختلس ابنها الصغير منها ، فأصابها بالحزن واللوعة ، فأنصفها الحاكم وردّ إليها ابنها يقول : " وذلك أن أُختاً لي أمتك لا باكية لي سواها ، كــان لهــا ابن من فلان ، فعرض له فاختلسه وفرَّ به إلى الحضرة المزدانة بك ، فتمــثل مــا شئت من كمدها واحتراق كبدها وتذكر قوله عليه السلام " لا تولّه والدة بولدهــا " وانظر سوء سوء هذا المعاند ، وأنت ولي النعمة في صبره عليها ، ورد نومها به إليها(288) .

وقــد اتسمت الأخت الأندلسيّة بالشجاعة ، تنتقم لتأخذ بثأر أخيها ، فقد بويع الحسن بن يحيى الملقب بالمستنصر سنة (431) هــ ، وعهد إلى الوزير أبي جعفر بــن بقنه بتدبير الأمور ، فأمر بقتل يحيى القاسم ، فقتل في ربيع الثاني عام(434) وكانت أُخته زوجةً للمستنصر ، فما لبثت أن قتلته مسموماً انتقاماً لأخيها (289) .

وهــذا أبــو حفــص ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن يطلب من أبي عمر بن حربون أن يصنع قصيدة شعر على لسانه يتشوق فيها إلى أخيه أبي يعقوب ، وكان قد تحرك أبو حفص بعسكر من الموحدين إلى غزو المنافقين المرتدين فسهل الله له وفتح عليه وانصرف منصوراً ظافراً يقول(290) :

سلام أيها الملك الهمــــــــــام ... على غاديك دام لك الســـــــلام
ولا زالت لك الأيام سلمـــــــــا ... برصب على أعاديـــك السّلام
فأنت أمام هذا الخلق طـــــــرا ... متى ما زال لا زال الإمــــام
برأيك تكشف الغماء عنهـــــم ... وينفع غلة الأرض الغمــــام
ولولا دولة أيدتموهـــــــــــا ... لما عرف الحلال ولا الحرام
ولا هطلت على الأرض الغوادي ... ولا سجعت على الدوح الحمام
سهرت الليل في طلب المعالـــي ... وقام بيمن دعوتك الأنــــــام
يطول بنا الزمـــــان فكل يوم ... يمر ولا نراكم فهو عـــــام

فتبسم عنكم هذي الليالــــــــي كما ابتسمت عن الزهر الكمام(291).

فانشرح صدر أخيه وتهلهل سروراً وبشراً حتى غدا لنوره بدراً ، فقام كل من حضر المجلس بالدعاءِ له وانصرف أبو حفص ظافراً .

وبــرزت العاطفــة تجــاه الأخ قوية وصادقــة عند أبي مروان بن غصن الحجــاري (292) ، مــن خلال الرسالة الشعريّة الّتي بعث بها إلى أخيه وهو في غياهب السجن ، مؤكداً صدق عاطفته وحاجته إليه ، مصوراً له ما ألم به في سجنه قائلاً :

أأروى وبين ضلوعي حريقُ وأشجى وإنسانُ عيني غريــــقُ
وفي كلِّ يومٍ وفي كلِّ حيـنٍ يحمّلني الدهرُ مالا أطيـــــــقُ
تهيمُ الخطوبُ بوصلي فمــا لهنَّ إلى غير قلبي طريـــــقُ
أيا واحدي وشقيقي ويــــا فريقاً يبكه مني فريــــــــقُ
أخوك أخو نكباتٍ لهــــــا يرقُّ العدوّ فكيف الصديـــــقُ
كسدتُ ونظمــــي درٌّ نفيسٌ وضعتُ ونثري مسكٌ فتيـــقُ
ورأيي شهابٌ أُجلـــّى العمى به ، وحديثي روضٌ أنيقُ(293).

3 . 3 : رثاء الإخوان .

صــورّ الشــعر الأندلســيّ رابطة الإخوةِ بين الأفراد في المجتمع الأندلسيّ تصــويراً واضحاً ، وتظهر العاطفة الجيّاشة الممزوجة بالألم والحسرة بصورة جليّة فــي رثاء الإخوان ، فما أن يفقد الشاعر أخاه حتّى يبكيه بشعرٍ يتفطر ألماً وحسرةً ، مُعبراً عن لوعــة الفراق وإكتواء الجوى ، مشيراً إلى خصالة الحميدة الّتي يتصف بها .

فهذا ابن الزقاق البلنسي يرثي أخاه حسناً بشعرٍ ينم عن أسىً وحزنٍ عميق ، وعاطفــةٍ صــادقةٍ ،وكان أخوه ما زال في رِيعان شبابه فقد مات بعد مرضٍ ألمّ به يقول :

علي حَسَنٍ أفني دموعـــي حَسْرة ومنْ بعضِ ما أُفني الغرّ والتجلُــــــدُ
سأبكيه ماجحّ الحجيجُ ومـــا دعا هديلاً على الأيكِ الحمامُ المغـــــــرّدُ
يقولون عاثت في أخيك يدُ البلى فوا حرّ قلبي مـــــــــن أسىً ويتَجلدُ

لئن نفذت أيّامُهُ إنّ لوعتـــي على قدمِ الأيام ما ليس وتنفـــذُ
أفكرُ في نأي اللقاءِ وبُعـــده واعلم أنّ الصبر أنأى وأبعـــدُ
وما زهرةُ الدنيا تفي بذهابـه ولو قيل أبشرْ أنت فيهـــا مخلدُ
تقضي فأجفان السّحاب دوامعٌ عليــــه وأنفاسُ الرياح تصَعـدُ
أضاءت به الدنيا زماناً لناظري فقد عمّها ليلٌ من الحزن سرمـــدُ
أبيّ إلى أن قاده الحين في الثرّى وكلٌ له في راحـــة البيـن مقـودُ
ولم انسَهُ والسّقمُ ينهبُ جسمــه والآفــــــهُ في كلّ يــومِ تزيّدُ
يجسُ يداً منه الطبيبُ ومن لــه بدفعِ صرُوف الموتِ عن مهجة يدُ(294).

وفي مرثية أُخرى تبلغ ثمانية واربعين بيتاً يتفجع ابن الزقاق على أخيه حسن ، وقــد اســتهلّها بأبيات حكيميّة يستشعر فيها عظمة الموت ، ويعبرّ عن حتميته الّتي لا ينجو منها أحد ، وممّا يُضاعف أحزان الشاعر أن الموت فراق لا لقاء بعده :

أنوماً ووعدُ الحادثات وعيــــدُ وحادي المنايا ليس عَنه مَحيدُ
وفي كلّ يومٍ للخطوب وليلـــة وقائعُ تُفني جَمعنـــا وتبيـدُ
خليليَّ هبّا فاندبا متحمـــــلاً أحدَّ نوىً ن إنَّ اللقاء بعيـــدُ
ولا تحسبا ان الفراق لأوبـــة ولا أنّ من تحت التراب يعود
أأبصرت هاماً حال مِنْ دونه الرّدى فبشّرَ منه بالإياب بريـــدُ

وبعـد ذلـك يصور الشاعر مصيبته بأخيه الّذي توفي ثالث أيام عيد الفطر ، مخلّفاً في نفسه جروحاً لا تندمل والآماً لا تشفى على ذلك يقول :

أثالث عيد الفطر أبقيت للأسى بقلبي ندوباً ما تأوّب عيـــدُ
طوى حَسَناً فيك الجديدان بعدما تسربل ثوب العيش وهو جديدُ
ذكرتُ زماناً منه ليس بعائدٍ فأصبحتُ أُبدي لوعةً وأُعيـــدُ
فوا حسرتا لم ينتصر لزمانه وقد صَبّحتهُ للحمــامِ جنودُ

وعــندما يعــبّر الشــاعر عن إحساسه بحرارة الفقد فإنّه يصوّر إحساسه بقلق المصــير كذلــك ؛ قلقهُ على نفسه بعد أن فقد أخاه الّذي كان ملاذاً يأوي إليه ، وقلقه على أخيه الذي غُيّب تحت التراب والجنادل ؛ وأقام في ديارٍ لا أنيس له فيها يقول :

ألا ليت شعري من يقوم لنصرهِ
وأُسرتهُ الأدنون عنهُ معَــــــود
على الرغم منّا صيّرت رهَنْ تمائمٍ .
يغالطُ منهنّ العيون نجـــــود
عزيزٌ علينا أنْ سكنت منازلاً
تشابــــــهُ أحرارٌ بهــا وعبيد
أقمت بدارٍ لا أنيس بأرضها
وان حلّها بعــــد الوفود وفــود
وأن الغريب الفذَّ مُثلك إلا الّذي
دُوين معانيه صحاصــــــحٌ بيد
وإني وقد أمسيت في دار غُربةٍ
فريداً لمنبتٌ العزاء فريـــــــد
فما استصحبتْ إلاّ الرجاء أَقاربٌ
ولا استنجدتُ إلا المدامعُ عُــودُ
وكان محلَّ النجم أرقى مكانه
فأصبح يعلوه ترابٌ وجَلمـــد
لمثلك من رزءٍ جليل تصرخت
خدودٌ بأسراب الدمــوعِ تخدّد
سأبكي أخي مُستيقناً أنَّ أدمُعي
إذا ظلَّ دمعِ ذابه الناس يجمد(295).

فجــاءت المرثية مُكتظة بالصور المؤثرة والخواطر المفعمة باللوعة والأسى، فهي بكاء ولوعة يحس فيها القارئ بصدق المعاناة وحرقة الفقدان .

ورثى أبو القاسم محمد بن أبي العباس(296) ، أخاه بشعرٍ ينبضُ بالألم قائلاً:

بين أخٍ مُودعٍ ضريحاً — وآخر شطَّ في البعــــــادِ
يهمُّ في المنتدى بنطقٍ — فيرجعُ الحيُّ كالجماد(297)

ورثى ابن لبون(298) ، أخاه وقد توفي ولورقة في ملكه منتظمة في سلكه قائلاً :

قل لِصرفِ الزمانِ كم ذا التّاهي

في تلقيك لي بهذي الدَّواهـــي

كان في عَامرٍ وأرقم مايَكْـــ

في فهلاّ أبقيت عبد الإلاه(299)

ورثـــى الشاعر عبد المجيد بن عبدونٍ اليابري أخاه عبدالعزيز بشعرٍ يُعبر عن لوعــة الفراق، ويفهم من مضمون القصيدة أنّه كان إنساناً جميل الوجه ، طويل الباعِ، رزين النادي ، كما ويُفهم منها أنه الأخ الوحيد له ، مضى فلا عزاء بعده يقول :

رويدك أيهـــا الدهـــرُ الخؤون ستأكلنـــــا وإياك المنونُ

تعللنا الأماني وهــــي زورٌ وتخدعنا الليالي وهـــي خُونُ

وكم غرَّت بزبرجها قرونـــاً فما أبقت ولا بقـــت القرونُ

فُجعت بزاهرٍ من فهـــرٍ كبدرِ التمِّ هالتهُ عريـــنُ

بأروع ملء عين الحُســن قيداً إذا أخذتْ مجاريهـــا العيونُ

مُنير العرضِ فضفاضَ المساعي طويل الباعِ ناديـــه رزيـنُ

سمتْ فوق السماءِ بـــه ظهورٌ وما حاطتـــهُ إذا حطتّ بطـونُ

فأنضبت المنايا منـــه بحراً حواريـــه صفونٌ لا سفيـنُ

وأبقيتني يدُ الأيـــام فرداً كمـــا غير بيسراها اليميـــنُ

وهل يبقى على غَيرِ الليالـــي شفيقٌ أو شقيقٌ أو قريـــنُ(300)

ورثـــى الوزيـــر أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم(301) ، أخاه جعفراً بأبيات تعبر عن تغير حاله ، فقد كان أخوه من أهل الجمالِ الفائق يقول :

يامن نعتهُ إلى الإخوان لحيتـــهُ أدْبرْتَ والناسُ إقبالٌ وإدبارُ

قد كنت ممن يهشُ الناظرون لــه تغضُ دونك أسماعٌ وأبصار

لله درُ فتى ولّت شبيبتُـــــهُ وكلُّ شيءٍ له حـــدٌ ومقدار

فيه قد كُنتُ بعْدُ أستدفـــعُ الخط ستَ وأسطُو على العدى وأُباهي

أيُّ شمسٍ وافى عليها أُفـــولٌ فلَّ غَرْبي عزائمي ونواهي(302)

وهذه الأخت ترثي أخاها بأبياتٍ شعريةٍ ارتقت بها إلى مستوى الشواعر الكبار، فهي كالخنساء في حزنها على أخيها :

أشاعت قبلهـــــا وبكت أخاها فأضحت وهي خنساء الحمـــام

شجتك بظاهرِ كقريض ليـــــل وباطنة عويص أبى حزام(303)

ومـــن رثاء الأخوات ما قاله ابن اللبانة ، في رثاء أخت عبد الرحمن بن محمد الملقب بالمرتضى ، الّذي احتفل في جنازتها احتفالاً شُكر فيه فعله ، يقول ابن اللبانة :

أبنت الهدى جدَّدتِ معنى على معنى

مضى المرتضى أصلاً وابتعته فرعا

جرى الموت جري الريح في منبتيكما

فأذواك ريحاناً قصّته نبعـــــــــــا

على نسقٍ جاء المصاب وإنما

تقدم وتراً ثم ابتعته شفعـــــــــــاً

وقد جسّد فضائلها قائلاً :

لئِن وقفت شمس النهار ليوشع

فقد وقفت شمس الهدى لي والشهبُ

عقيلة بيت المجد لم ترها الدجى

ولا لمحتها الشمس وهي لها ترب(304)

وممـــا تجـــدرُ الإشـــارة إليه أن النصوص الشعرية الّتي جاءت تصور علاقة الإخـــوة بعضهم ببعض نادرة ، إذ إنني لم أعثرُ على نصوص أو مقطوعات شعريّة بخصوص ذلك فيما اطلعتُ عليه منْ مصادرِ ودواوين شعريّة .

الفصل الرابع

نماذج من شعر الأُسرة : دراسة فنّيّة

4 . 1 : اللغة في شعر الأُسرة:

وُصِف شعر أهل الأندلس في تلك الفترة بسهولة اللفظ وبُعده عن الغريب والوحشي من الألفاظ ، ورشاقة التركيب ، وحسن الصياغة ، وتختلف الألفاظ المستخدمة رقة وعذوبة وسهولة حسب الأغراض التي ترد فيها ، ويرتبط اللفظ بالموضوع وبالحالة النفسية ، فتمتاز لغة الهجاء بالحدة والتوتر والانفعال ، تصدر موادها عن عاطفة الغضب والسخط و النقمة ، ومن ذلك قول أبي محمد بن صارة الشنتريني في هجاء زوجته :

أما الزمان فرق لي من طلّة كانت تطل دمي بسيف نفاقها

الذئبة الطلساء عند نعاقها والحية الرقطاء عند عناقها (305).

ومن الألفاظ الموسومة بالمهابة والوقار ، والجزالة والفخامة قول أبي اسحاق الإلبيري في رثاء زوجته :

عُج بالمطي على اليباب الغامر واربع على قبرٍ تضمن ناظري

فلكم تضمن من تُقى وتعففٍ وكريم أعراقٍ و عرضٍ طاهرِ

واقر السلام عليه من ذي لوعةٍ صدعتهُ صدعاً ما لهُ من جابرِ

إن كان يدثر جسمه في رمسه فهواي فيه الدهر ليس بداثرِ

قطع الزمان معي بأكرم عشرةٍ لهفي عليه من أبرَّ مُعاشرِ

ما كان إلا ندرةً لا أرتجي عوضاً بها فرثيته بنوادرِ(306) .

وقول ابن الزقاق البلنسي في رثاء زوجتة " دُرَّةَ "

لمغناك سحَّ المزن أدمع باكِ ورجعَت الورقاء أنه شاكِ

وشقَّ وميضُ البرقِ ثوباً من الدجى كأن لم يكن يجلى بضوءِ سناك

أظاعنةً والحزن ليس بظاعن لقد أوحش الأيام يومُ نواكِ (307).

ومن الألفاظ التيّ كثر ورودها في شعر الأُسرة ولاسيّما في شعر رثاء الأبناء ، وكانت تعني شيئاً كثيراً عند الشعراء اسم الفقيد ، فكانوا يرددونه أكثر من مرة ، أو ما ينوب أو يدل عليه كالضمير ، أو تكرار لفظتي (ابني) أو (بنيّ) ، وتدلُّ ظاهرة ترديد اسم الفقيد

علـــى مدى تعلق الشاعر بابنه ، وقربه من نفسه ، وحضوره في ذهنه ، يقول المعتمد بن عباد في رثاء ابنيه فتح ويزيد :

هوى الكوكبان الفتحُ ثم شقيقه يزيدٌ فهل بعد الكواكب مـــــن صبرِ

أفتحٌ لقد فتحت لي باب رحمة كما بيزيد الله قد زاد فـــــــي أجري

أبا خالدٍ أورثتني البثَّ خالداً أبا النصرِ مذ ودعت ودعني صبري (308)

ويقول أبو حيان الأندلسيّ مُردداً اسم زوجته زمرده :

أأرجو حياةً بعد فقْد زمــُردِ وكانت بها روحي تلذ وتغتذى

زمردُ قد حلَفتِ للصبِ لوعةً وحزناً بقلبي آخذاً كل مأخذ (309).

أما الأعمى التُطيلي فقد ذكراسم زوجته مرتين في قوله :

أآمن أن أجزعَ عليك فأنني رزُنتك أحلى من شبابي ومن وفري

أآمن لا والله ما زلت موقنــاً ببينك لو أني أخذتُ له حذري (310).

ومن المظاهر اللغوية التي كثرت بصورة لافتة في شعر الأُسرة ولا سيّما شعر رثاء الأبـــناء استخدام ضمير المتكلم ، ويرجع هذا إلى إحساس الشاعر بمأساته إحساســاً ذاتياً ، فـــلا يشاركه بها أحدٌ غيره ، ولذلك كثر استخدام ضمير المتكلم ومن الأمثلة على ذلك قول ابن حمديس الصقلي في رثاء ابنته :

أتاني نعي عنكِ أذكى جوى الأسى عليّ اشتعال النار في الحطب الجزل

أراني غريباً قد بكيتُ غريبـــــــةً كلانا مشوقٌ للمواطنِ والأهلِ (311) .

كمـــا عبّر شعراء آخرون عن مدى حزنهم على أبنائهم بعقد مقارنة أو مفارقة بينهم وبين الحمائم ، لا لأن الحمام رمز للحزن فحسب ، ولكنه رمز للعاطفة الصادقة الشديدة ، فقد صوروا الحمام في موقف الحزن على أبنائهم ومن ذلك قول المعتمد بن عباد :

بكت إن رأت إلفين ضمهما وكرٌ مساءً وقد أخنى على إلفها الدهر

بكت واحداً لم يشجها غير فقده وأبكى لألافٍ عديدهم كثرُ (312).

في حين نجد ابن عبد ربّه لا يصور الحمام حزناً على فقده لابنه وانّما فرحاً في قوله يرثى ابنه :

أبكى عليك إذا الحمامة طرَّبت وجه الصبَّاح وغرَّدت تغريداً(313).

وقد جاء تصوير الشعراء لبكائهم على أبنائهم في غاية الدقة ، ففقد الأب لابنه يورثه الهـم والحزن ، ومما يضاعف الحزن فقد الأب لأكثر من ولد ، من مثل أبي الوليد الباجي الّذي فقد ابنيه ، وابن عبد ربّه ، وأبي حيان الأندلسيّ .

وقـد تمتزج عاطفة الحزن بعواطف أُخرى ، ففي بعض قصائد الرثاء يندب الشاعر ابـنه وذلك بذكر مناقبه ، وشجاعته ، وعلمه ، ومنزلته عند قومه ، كما ظهر عند المعتمد ابن عباد في رثاء أبنائه وقد سبق ذكر تلك المقطوعات الشعريّة في ثنايا هذا البحث .

ومـن المظاهـر الأُسـلوبية الّتـي كثرت بصورة لافتة في شعر الأُسرة استخدام المحسـنات البديعية، فالمتصفح للشعر الأندلسيّ الّذي قيل في عصر الطوائف والموحدين ، يتـبدى له في شعر الشعراء رغبة كامنة ، وميل فطري ، وتقليد متبع لأسلوب المحسنات البديعـية ، فالحياة المترفة ، والبيئة المزدانة بكل صور الجمال الحضاري جعلت أشعارهم تميل نحو التجديد ، بكل أنواع الصنعة البديعية ومحسناتها ، تمشياً مع روح العصر السائدة آنـذاك ، إضـافة إلـى التأثيرات المشرقية ، الّتي كان لها أثرٌ واضح في لفت الانتباه إلى المحسنات البديعية والزخارف اللفظية .

وكـان أحب ألوان البديع لديهم الطباق إذ لا تخلو أيّ مقطوعة منه فمن الأمثلة على الطباق قول ابن حمديس الصقلي في رثاء زوجته :

ليلي أطالك بالأحزان مُعقبةً ... عليّ منْ كان بالأفراح قد قصرك (314).

فقد طابق الشاعر بين (أطالك) و(قصرك) .

وقوله في موضع آخر :

يهدم دار الحياة بانيهـا ... فأيّ حيّ مُخلّدٌ فيهـا (315).

فقد طابق الشاعر بين (الهدم) و(البناء) .

وقوله أيضاً في رثاء زوجته (جوهرة) :

يا بُحر أرخصت غير مكترثٍ ... من كنت لا للبياع أغليها (316).

فقد طابق الشاعر بين (أرخصت) و(أغليها).

وقوله في رثاء زوجته :

بيضٌ أيامها وسودُ لياليها ... كشهب تكرّ في إثردهم (317).

فقد طابق الشاعر بين (بيض) و (سود) .

وقوله في رثاء ابنته :

أرى العالم العلويّ يفني جميعَهُ إذا خلت الدنيا من العالم السفلي (318).

فقد طابق الشاعر بين (العلوي) و (السفلي) .

وقوله أيضاً في رثاء ابنته :

وفي مدّ أنفاسي لديّ وجزرها بقاءٌ لنفسٍ غير متصلُ الحبلِ (319).

فقد طابق الشاعر بين (المدّ) و(الجزر) .

وقوله في موضع آخر :

فيا سائلي عن أهل ذا العصر دعهُمُ فبالفرع منهُم يُستدل على الأصلِ (320).

فقد طابق الشاعر بين (الفرع) و(الأصل) .

ومن أمثلة الطباق قول ابن درّاج القسطلي في حديثه عن أبنائه قائلاً :

وقد أسلمته سمائي وأرضي فلا من ثراي ولا من ثرائي (321).

فقد طابق الشاعر بين (السماء) و(الأرض) .

وقوله في موضع آخر :

يطلبن لج البحر حيثُ تقاذفتْ أمواجُهُ والبَّر حيثُ تنكرَّ (322).

فقد طابق الشاعر بين (البحر) و(البر) .

ومن أمثلة الطباق قول المعتمد بن عباد في زوجتة (اعتماد) :

تملكتِ منيّ صعب المَرا م وصادفت وُدّي سهل القياد (323).

فقد طابق الشاعر بين (صعب) و(سهل) .

وقوله في موضع آخر :

بكرتْ تلومُ وفي الفؤادِ بلابلُ سفهاً وهل يثني الحليم الجاهلُ (324).

فقد طابق الشاعر بين (الحليم) و(الجاهل) .

ومن الطباق قول المعتمد بن عباد :

أليس الموتُ أروح من حياةٍ يطولُ غْلى الشّقي بها الشّقاء (325).

فقد طابق الشاعر بين (الموت) و(الحياة) .

ومن الطباق قول أبوا سحاق الإلبيري في رثاء زوجته :

إني لأستحيه وهو مُغيُبُ في لحدهِ فكأنه كالحاضرِ (326).

فقد طابق بين (الغائب) و(الحاضر) .

ومن الطباق قوله أيضاً :

فأجوبُ أرضاً سهلها كحزونها عندي وأول قطرها كالآخر (327).

فقد طابق الشاعر بين (أول) و(آخر) .

وقوله أيضاً :

فمن الغنيِ ما قد يضرُ بأهله والفقرُ عند الله ليس بضائرِ(328).

فقد طابق بين (الغني) و(الفقر) .

وقوله أيضاً :

وغداً بميدان السباق سنلتقي فيرى الثقيلُ من الخفيفِ الضامرِ (329).

فقد طابق الشاعر بين (الثقيل) و(الخفيف) .

ومن الطباق لدى أبو حيان الأندلسيّ قوله في رثاء ابنته :

وقدوم حيٍ يغيبُ يُرجى وليس يُرجى قدوم ميتِ (330).

فقد طابق الشاعر بين (حي) و(ميت) كما وجانس جناساً تاماً بين (يُرجى) و(قدوم).

وقوله في رثاء زوجته :

قضى الله أن عاشت وماتت سعيدة وليس امرؤ مما قضاه بمنفذِ (331).

فقد طابق الشاعر بين (عاشت) و(ماتت) .

وقوله أيضاً :

وأتلو كتاب الله سراً وجهرةً عليكِ وأدعو بالأصائل والبكر(332).

فقد طابق الشاعر بين (السر) و(الجهر) .

وقوله في رثاء زوجته وابنته نضار :

أشرقت بالنّهار منهم شموسٌ وتجلّت في ليلهم أقمار (333).

فقد طابق الشاعر بين (النهار) و(الليل) .

وقوله في ابنته نضار :

مصليّة حيناً عليه وتارةً مسلمةً في الجهر منها وفي الهمس (334) .

فقد طابق الشاعر بين (الجهر) و(الهمس) .

ومن الطباق لدى ابن جبير قوله في رثاء زوجته :

فلو أستطيعُ ركبتُ الهوى		فزرت بها الحيَّ والميتَّ (335).

فقد طابق الشاعر بين (الحيَّ) و(الميتَّ) .

ومن المقابلة قول أبو حيان الأندلسيّ يرثي ابنته نضار .

راحت نضار فلا عيشٌ يلذُ لنا		وخلفتِ بفؤادي الهمَّ و الحزنا (336).

فقد قابل الشاعر بين (الهم) و(الحزن) .

ومن جمال المقابلة قول ابن عبد ربّه في رثاء ولده :

بليت عظامك والأسى يتجدَّدُ		والصبّر ينفذُ والبكا ولا ينفذ (337).

فقد قابل الشاعر بين (بليت عظامك) و (تجدد الأسى).

ولعلَ الإكثار من الطباق ، يُوضح حياة المتناقضات التَي يعيشها الناس في عصر الطوائف والموحدين ، من ثراء فاحش لطبقة الحكام ، وفقر مطبق لعوام الناس ، وبحر خضم من المنافسات والمنازعات والحروب الأهلية.

ومن المحسنات البديعية التي ظهرت في شعرهم التقسيم ومن الأمثلة على ذلك قول أبي عبدالله محمد بن شرف :

ولي منهما سهمان هذا ابن أربعٍ		وهذا ابنُ ستّ كلما كان إغفاء (338).

ومن التقسيم لدى أبو حيان الأندلسيّ قولهِ يرثي ابنته نضار:

وحياءٍ وحسن ملقىً وخطٍ		بارعٍ نادرٍ ولفظ فصيح (339).

وقوله في ابنته نضار :

كانت نضار لنا روحَ نعيش بها		فتنعشَ الأشرفين :العين والأذنا (340).

وقوله في ابنته نضار :

فقهٍ ونحوٍ وتاريخٍ و معرفةٍ		ولحظِ فكرٍ إلى نيل العلوم رنا(341).

ومن المحسنات البديعية الّتي ظهرت في شعرهم المبالغة ومن الأمثلة على ذلك قول المعتمد بن عباد في أبيه المعتضد :

الشمسُ تخجلُ مـن جمالك		فتغيبُ مُسرعـــــةً لذلك
والغيثُ يخجلُ ان يُـصو		بَ ، لما يراه مـن نوالك
والبدرُ يطلع ناقصـــــاً		حتى يُتمّم من كمالك .(342).

فقد زعم أن الشمس تخجل من شدة جماله فتغيب بسب ذلك ، وأنَ البدر يطلع ناقصاً فيتممه نور المعتضد بالله .

ومن المبالغات أيضاً قول المعتمد مبيناً ثقافة ولده الراضي والّتي تفوق ثقافة العلماء في كافة المجالات قائلاً :

أولست رسطاليس إن ذُكر الفلاسفـــــــةُ الأكابر
وكذاك إن ذُكــر الخليل فأنت نحـــــــويُ وشاعر
وأبو حنيفـــــــة ساقطُ في الرأي حين تكونَ حاضِر
من هرمُسُ من سيبوية من ابن فورك إن تُناظر (343).

فهو يفوق رسطاليس في الفلسفة ، كما ويفوق الخليل في النحو والشعر .

ومن المبالغات ايضاً قول ابن عبدربّه في رثاء ولده :

لولا الحياءُ وأنْ أُزنّ ببدعـــــة مما يُعددّهُ الورى تعديـــــدا
لجعلتُ يومك في المناخ مأتماً وجعلتُ يومك في الموالد عيداً (344).

فقد بالغ عندما أراد أن يجعل من يوم وفاة ولدِه عيداً يحتفلُ الناس به عند قدومه كل عام .

4. 2 : التأثر بالقرآن الكريم :

ومـــن الســـمات الفنية البارزة في شعر الأسرة التأثر بالقرآن الكريم ، فمن ذلك ما أورده المقـــري " أن بعض قضاة لوشة كانت له زوجـــة فاقت العلماء في معرفة الأحكام والـــنوازل ، وكان في مجلس قضائه تنزل به النوازل فيقوم إليها فتشير إليه بما يحكم به ، فكتب إليه بعض أصحابه مُداعباً (345).

بلوشة قاضي له زوجةٌ وأحكامهـــــــــــا في الورى ماضــيه
فياليته لم يكن قاضيـــاً ويالـــيـــتها كـــانـــت الـــقاضيـــه

فأطلع زوجته عليه حين قرأه ، فقالت : ناولني القلم ، فناولها ، فكتبت بديهة :

هو شيـــــــــــخٌ سوءِ مُزدَري لــــــــــــــه شيوبةٌ عاصيه

كـــلا لـــئن لم ينتـــــــــــــــه لنسفعــــــــــــــــــاً بالناصيــه(346) .

ففي البيت الثاني من جواب زوجة القاضي اقتباس مباشر للآية القرآنية " كلا لــئن لم ينته لنســفعاً بالناصية"(347) ، وهذا رد ظريف ينم عن سرعة بديهة ، وملاحظة نادرة ، وقوة طبع .

ومم التأثر بالقرآن الكريم قول ابن حمديس الصقلي في رثاء زوجته على لسانِ ولديها قائلاً :

من توسدت في حشايا حشاها وارتدى اللحم فيه والجلد عظمي

وضعتني كرها كما حملتني وجرى ثديها بشربي وطعمي (348).

فقــد تجلّــت فــي هذه الأبيات روح الشاعر الدينية ، حيث استوحى قوله تعالى : " ووصـــينا الإنســـان بوالديه إحسانا حملته أُمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً " (349).

وقولـــــه تعـــالى : " ثم خلقنا النطفة علقة ، وخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين "(350) .

ولم يقف تأثر الشعراء بالقرآن الكريم عند التضمين المباشر ، بل تعداه إلى أساليب التصـــوير ، حيــث إنّ بعــض الشعراء أتكأوا علي أحداث وقصص قرآنية استلهموها في أشعارهم ، واعتمدوا عليها في تشكيل الصورة الفنّية، فمن ذلك ، قول ابن زيدون يدعو أُمّهُ أن تـــرفق بنفسها ، وتكف عن البكاء لأنها ليست أول من تُثكل بسجن ولدها طالباً منها أن تعتبر بأم موسى الّتي دفعت بابنها في اليم يقول :

أقـــــلـــيّ بــكاءَ لســت أوّل حُرّةِ طوت بالأسى كُشحاً على مضض الثكلِ

وفي أُمّ موسى عبرةٌ إن رمت بـــه إلى اليمّ في التابوتِ فاعتبري وأسلي(351).

فقــد استلهم الشاعر قوله من الآية القرآنية : " وأوحينا إلى أُمّ موسى ، أن أرضعيه فــإذا خفــت علــيه فألقــيــه في اليمّ ولا تخافي ولا تحزني إنّا رآدّوه إليك وجاعلوه من المُرسلين " (352).

ومــن الصور المستوحاة من القرآن الكريم قول الشاعر ابن حمديس الصقلي يصف زوجته بالعفة والتقوى بعيدة عما يكسبها الذمّ ، فاستحقت أن تكون في جنة الخلد تفوز بنعيم الآخرة قائلاً :

كان بين الأناس عمرك حمداً قد بترأتِ فيـــه مـــن كل ذمِ
أنتِ في جنةٍ وروضٍ نعيـــم لم تسم أرضها السحابُ بوسم(353).

فقـد اسـتمد الشـاعر هـذه الصـورة من قوله تعالى " والّذين آمنوا وعملُوا الصّالحات سندخلهُم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ "(354) .

ولعلّ قول ابن حمديس في رثاء زوجتهُ (جوهرة) مبيناً أنه لا خلود لأحدٍ في هذه الدنيا ، فكل حيّ على الأرض لابد أن يموت :

يهدمُ دار الحياةَ بانيها فأيّ حـــيّ مخلّدٌ فيه
وإن تردت من قبلنا أممٌ فهي نفوسٌ رُدّت عواريها (355).

مستوحاة من قوله تعالى :

" كُلُ من عليها فانٍ ، ويبقى وجهُ ربّك ذوُ الجْلالِ والإكرام " (356).

كما استوحى الشاعر قوله في رثاء والده :

يدُ الدهر جارحةٌ آسيَـــــةْ ودنياكَ مفنية فانيــــة
وربــّكَ وارثُ أربـــــــابها ومُحي عظامهمُ البالية (357).

من قوله تعالى :

" وضرب لنا مثلا ونسي خلقهُ قال من يُحي العظام وهي رميمٌ" (358).

ومن التأثر بالقران الكريم قول الشاعر أبي اسحاق الإلبيري في رثاء زوجته

وغداً بميدان السّباق سنلتقي فيرى الثقيلُ من الخفيفِ الضّامر(359).

فيشــير الشــاعر إلــى معنى الآية الكريمة :" فأمّا من ثقلت موازينهُ فهو في عيشة راضية ، وأمّا من خفت موازينهُ ، فأمُّه هاوية ، وما أدراك ما هيَه ، نارٌ حامية (360).

ومن التأثر بالقرآن الكريم أيضاً قول الشاعر أُميّة بن أبي الصّلت الأندلسيّ في رثاء والدته مبيناً أنه لانجاة لأحدٍ من الموت حتى وإن كان في بروجٍ مشيدةٍ في قوله :

هو الموت لن ينجى الفتى منه مهربٌ ولو رام أسباب السماء بسُلّم (361).

فيشــير الشاعر إلى معنى الآية الكريمة : " أينما تكونوا يُدرككمُ الموتُ ولو كُنتُم في بُــرُوجٍ مشــيدةٍ وإن تصبهم حسنةٌ يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئةٌ يقولوا هذه من عندك قُلّ كلٌ من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً " (362).

ومن التأثر بالقرآن الكريم أيضاً قول المعتصم بن صمادح ، وكان قد أرسل ابنه رسولاً إلى يوسف بن تاشفين ، فاعتقلُ ، مُبدياً الحسرة على فراقه طالباً منه الصّبر على ما حلَّ به مُعتبراً بسيدنا يعقوب وولده يوسف عليهما السلام :

عزيزٌ عليَّ و نوحي نليلُ ... على ما أُقاشّي ، ودمعي يسيلُ
لئن كنت يعقوب في حُزنه ... ويوسف أنت ، فصبرٌ جميلُ (363) .

فقد استلهم الشاعر قوله في البيت الثاني من قوله تعالى :" وجاءُو على قميصهِ بدم كذبٍ قال بل سولّت لكمُ انفسكمُ أمراً فصبرٌ جميلٌ واللهُ المستعانُ على ما تصفون "(364) .

ومن الإتكاء على الرّفد القرآني : أن يستخدم الشاعر ألفاظاً دينية مستوحاة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، تحمل دلالات شرعية لتتم بها أجزاء الصورة الفنية، فمن تلك الألفاظ : " الجنة ، الروض ، النعيم ، صوّامة ، قوّامة ، الله ، الإله ، الجنان ، الكتاب ، مرضاة ، آية ، القدس ، المصطفى ، القرآن ، الحج ، كعبة ، الذِّكر ، صلّى ، ربٌّ ، كريم ، مُحمد ، الجن ، الإنس ، رسول الله ، مُصلية ، مُسلمة " وغيرها الكثير وهذا إن دَّل إنما يدل على انَّ الشعور الديني كان المحور الذي تحوم حوله معظم الصور والمعاني لأشعارهم ، وأنّ أشعار بعضهم جاءت لتأكد نزوعهم نحو المفاهيم الدينية في تشكيل عناصر تصويرهم الشعري .

4 . 3 : التأثر بالشعراء السّابقين :

واستعان الشعراء الأندلسيون بمحفوظاتهم من الموروث الأدبي المشرقي ، ذلك أن الأندلسيين ينظرون الى أهل المشرق نظرة إعجاب و تقدير ، فلا غرابة في أن يتأثروا بالموروث الأدبي المشرقي من حيث الشكل و المضمون ، والصور ، والمتصفح لشعر شعراء الأندلس ، يتضح له مدى اتكاء الشعراء في مذهبهم الشعري على ما جمعوا من جزازات لشعراء جاهليين وأُمويين وعباسيين ، ذلك أنهم وجدوا فيهم مثلهم الأعلى الّذي يقتدون به .

ومن الأمثلة على ذلك قول ابن حمديس الصقلي في رثاء زوجته (جوهرة) مضمّناً من شعراء الغزل بعض خيالاتهم فقوله :

ما خلتُ قلبي و تبريحي يُقلّبُهُ ... إلاّ جناح قطاةٍ في اعتقالِ شرك (365).

مأخوذ من قول " قيس" عندما أُخبر برحيل ليلاه:

كأنّ القلْب ليله قيل يُغْدَى   بلَيْلَى الْعَامرية أوْ يُرَاحُ
قَطَاةٌ عزَّها شَركٌ فباتتْ   تُجاذبُهُ وقد عَلِقَ الجناحُ (366).

وقول ابن عبدربه في رثاء ابنه فهو يرى جميع الأرض من حوله قبراً لابنه ، قائلاً :

وأنظرُ حولي لا أرى غيره قبْرِهِ   كأنّ جميعَ الأرضِ عندي له قَبْرُ (367).

فقد أخذ هذا المعنى من قول ابن نويرة في أخيه مالك :

وقـــالوا أتبكي كلَّ قبرٍ رأيتــه   لقبْرٍ ثوى بين اللوى فالدكاك
فقلت لهم إن الأسى يبعث الأسى   ذروني فهذا كله قبر مالك(368).

وقول المعتمد بن عباد في رثاء ولديه :

فلو عُدتُما لاخترتما العَوْد في الثّرى   اذاً انتُما أبصرتُماني في الأسرِ(369).

وقــد علــق ابن بسام على هذا البيت بقوله : " البيت كأنّه من أشعار النساء ، وأراه ينظر إلى قول الخنساء في صيغة المبني ، وإن خالفه في المعنى " (370) ، وهو :

فلولا كُثْرةُ الباكِين حولي   على إخوانِهم لقَتلتُ نَفْسي(371).

ورثى الأديب أبو علي ادريس اليابسي أباه قائلاً :

سأبكي اذا غنىّ ابن ورقاء هاتفاً   وإنْ كان ما يعنيه ضدَّ الّذي أعنى
وما ندبت في مسمعي كل قينةٍ   تغردُ باللحن البريَّ من اللحن (372).

فجاءت هذه الأبيات على وزن قصيدة لأبي العلاء المعري في رثاء أبيه الّتي مطلعها :

نقمتُ الرّضى حتىّ على ضاحك المزْنِ   فلا جادني إلا عبوسٌ مَنْ الدَّجن

إلى قوله:

سأبكي ، إذا غنىّ ابن ورقـــاء بهجةً   وإن كان ما يعنيه ضدّ الّذي أعني
ونادبةٌ ، في مسمعي ، كـلُّ قـــينــةِ   تُغردُ باللّحْنِ البريِّ من اللّحنِ (373).

فقد استحضر أبو علي ادريس اليابسي عجز البيت دون تعديل جوهري عليه ، وها هــو أبو علي ادريس اليابسي أيضا يستحضر أبياتا لأبي العلاء المعري في رثاء والدتــه ويضمنها مقطوعته الّتي نظمها في رثاء والدته قائلاً :

وأمتني الى الاجداث أمُّ   يعزُّ عليَّ أن صارت أمامي
وأكبرُ أن يُرثيها لساني   بلفظِ سالكٍ طُرُقَ الطّعامِ(374).

وأرادني لزواجِ نجلٍ طاهـــــــــرٍ   حَسَن الخلائقِ من بني الأنجــادِ

ومضى إليك يوُمُ رأيك في الرضـــا   ولأنت تنظرُ في طريق رشادي

فعســَــاك يا أبتي تعرفـــني بــــه   إن كان ممن يـــُــرتجـــى لودادِ

وعسى رميكية الملوكِ بفضلهــــا   تدعُو لنا باليُمن والإسعــــادِ (385).

فقد أوجزت بثينة نكبة أبيها ، وما حلّ بهم من زوال مُلكهم ، فتشتت شملهم بأبيات معدودة أغنت عن صفحات طوال من التاريخ ، فضمنت خطابها قصتها كاملة في نطاق من الفطــنة وإطــار مــن السداد . فقد كان الأسلوب القصصي لديها بسيطاً قريباً من التفكير الواقعــي لا تكلــف فيه ، لم تعمد فيه إلى المجاز ، بل اعتمدت الحوار والسرد القصصي لتحقيق أهدافها ومقاصدها ، وقد تبين لنا ذلك من خلال التدرج في سرد الحوادث والترابط المحكم بينهما مع وجود عنصر التشويق في ثنايا الأبيات .

ويُعــد الحــوار مــن أهم الأساليب الّتي استخدمها الشاعر لإيصال الفكرة ، وإبراز تجربـــته الشـــعريّة ، كما يبدو ذلك عند الشاعر الرمادي ، مُستحضراً طيف زوجته عندما أودع السجن ، مُبتدئاً بسؤال زوجته له عن أمل الاجتماع بعد التفرق ، فيجيبها لست أدري طالباً منها أن تكف عن البكاء ، رفقاً بنفسها قائلاً:

وقالتْ تظنُ الدَهر يجمعُ بيننا   فقلتُ لــهـــا منْ لــي بظنِ مُحققِ

ولكنني فــيما زجــرتُ بمُقلةٍ   زجرتُ اجتماع الشمْلِ بعدا التفرقِ

فقد كانت الأشعار في مثل بُعدنا   فلما التقت بالطيف قالت سنلتقي (386).

4 . 5 : الصورة الشعريّة :

يحفل النقاد بالصورة الشعرية لأنها في حقيقة الأمر تسمو بالنتاج كلما كانت صادقة ناقلة للتجربة الناضجة في أصالة وعمق .

ولعــلّ هــذه الظاهــرة تكون أوضـــــح ما تكون في الأشعار الّتي تصور خلجات الـــنفس ، وكوامن الأشجان ، مع توضيح وقع الأحداث والأشياء عليها، ولا ســـيّما حين يواجه الشاعر بعض المواقف الخاصة ، كموقف الوداع (387).

فقــد رســم لــنا الشاعر ابن درّاج صورة مؤثرة لموقف المودع لزوجــه وطفله الرضيع ، يقول :

ولما تدانت للــوداع وقد هفا   بصبري منـــها أنـــة وزفيرُ

تناشدني عهد المـــودة والهــوى وفي المهـــد مبغوم النداء صغيرُ
تبوأ ممنوع القلوب ومُمهــــدتُ له أذرعٌ محفوفـــــــةٌ ونحورُ
فــكلُ مفداةِ الــترائب مرضعٌ وكل مُحياه المحاســن ظـــيــرُ
عصيت شفــيع النفس فيه وقادني رواح لتــدآب الســـرى و بــكورُ
وطار جناح الشوق بي وهفت بها جوانح من ذعر الفراق تطـــيــرُ
لئن ودعــت مني غيوراً فإنني على عزمتي من شـــجــوها لغيورُ
وللموت في عيش الجبان تلون وللذعـــرِ في سمع الجريء صفيرُ (388).

والأبــيات واضــحة الدلالة على الصورة الشعرية الناضجة ، فهي تُجسد لنا الآلام النفسية والجسدية المبرحة ، الّتي تصاحب دائماً البين القاسي ، وقد أتت الصور الجزئية بعد ذلك لتغذي الصورة الكلية في ترابط وانسجام (389) .

وكانــت الصورة الأخيرة صورة ايحائية ناقلة للتأثر نقلاً مؤثراً ، تجمع بين الحسّية الخارجــية ، والنفسّــية الكامــنة في الأعماق ، وقد ازدادت الصور حيوية بالموسيقى القوية المنبــثقة عــن المقابلات، وعن التكرار لبعض الألفاظ المختارة بدقة فنيــة، وجاءت قافيــة الأبيات متمكنـــة تُعبر عن لواعج النفس، والقلق والاضطراب مـــن خلال تردد حرف الراء.

ومن الصور الجميلة أيضاً مقطوعة للشاعر محمد بن شرف الجذامي ، فيها تصوير للرحلة بابنية في ظروف قاسية يقول :

أجــشــهمُ ليل القفارِ وظلمة البحا روكـــم ربعوا وللسير إرخـــاءُ
ولي فيهما سهمان ، هذا ابن أربع وهذا ابنُ ست كلــمـــا كان إغفاءُ
أضـــمهُما والليلُ داج كأنمــــا هُمــا نقطتا ياءٍ ، وجسمي هو الياءُ
فطوراً يغشيهم على ذكرك الكرى فــتُصبح أضـــواءٌ عليهم ولألأُ
وطـــوراً يمجّون الدُجى ومطا له وما كان للغـــايات مطلٌ وإرجاءُ
فتضجرُ منهــم أنفسٌ ربّما بكتْ بُكيّ هو للصمّ الجلاميــدِ إبكاءُ (390).

وكـــان للبيـــئة الأندلســية أثر في تشكيل صور شعرية مفعمة بالأخيلة والتشبيهات الغزيـــرة ، فمن ذلك قول المعتمد بن عباد يصف لنا شدة حبه لزوجيته " اعتماد الرميكية " يقول :

يا صفوتي مـــــن البشر يا كـــوكــباً بل يا قمـــــر

يا غـــصــــنا إذا مشى | يا رشــــأً إذا نظــــــــــر
يا نفس الــروضــة قـــد | هبت له ريـــــــح قد سَحَرْ
يا ربـــــّة الــلحــظ الّذي | شـــدَّ وثــــاقـــاً إذا فـــتَرْ
حـــتـــى أداوي يا فـــدا | ك السمع منـــــي والبصــــر
ما بفؤادي مــــن جوى | بــمــــا بفـــيـك من خصَر (391).

فقـد شـبه المعـتمد زوجته بالكوكب بل بالقمر في إشراقه وجمال طلعته ، فيمزج الشـاعر بيـنها وبين الطبيعة فهي صفوة البشر وهي الغزال وآسرة قلبه بعيونهـا ولحظها الفاتــر ، فللطبـيعة أثـر كبير على الشاعر ، فهي تلهب المشاعر وتدفعه نحو الإبداع ، فقد اسـتهوت الطبيعة شاعرنا ، فوجد فيها تربة خصبة ، ومصدراً ثرياً ، فراح يناجيها و يستلهم جمالها في أشعاره ، وأنتزع منها صوراً معبرة، فمن ذلك قوله في زوجه اعتماد مشبهاً إياها بالبدر في طلعتهِ وبالروضةِ في حُسنها قائلاً:

أأهجرُ ظبياً في ضلوعي كناسُــه | وبدرَ في جُفونـــــــــي مُطالعهُ
وروضة حسن أجتنيها ، وبارداً | من الظّلم ، لم تُحظر عليَّ شرائعهُ (392).

فقـد استهوت الطبيعة شعراء الأندلس ، فانتزعوا منها صوراً معبرة ، فمن ذلك ما رأيـناه لـدى ابن حمديس الصقلي ، وهو يرثي زوجته (جوهرة) فيستمد صوره من معاني الغزل : فوجهها بدر ، ودمعها يواقيت ، ودر البحر يحسد در ثغرها قائلاً :

أيا رشاقة غُصن البان ما هَصَركْ | ويا تألُّف نظــــم الشمل مَنْ نثرك
ويا شؤوني وشأني كُلـــهُ حزنٌ | مُضنيَ يواقيت دمعي واحبسي دُررك
أماتك البحــرُ ذو التيار من حَسَد | لَّما دَرىَ الدرُّ منـــــه حاسداً ثغرك
هلاّ ، وروضةُ ذاك الحسنِ ناضرةٌ | لا تلحظ العين فيها ذاملاً زَهرك (393).

ومــن الصور المنتزعة من الطبيعة قول أبى حيان الأندلسيّ في رثاء ابنته ، وذلك بالاتكاء على الطبيعة يقول :

سقىَ روضةً حلّت نُضارُ قرارها | مُغبُ من الغُرّ الغوادي بلا صحـــو
ولا زالَ ريحان يُظل ضريحهـــا | فما روضة تحوي كمثل الذي تحوي (394).

وقد تكون الصور الشعرية مستوحاة من الحياة الاجتماعية ، فقد كان المعتمد بن عباد موفقــاً فـــي بــناء صوزة الشعرية المعبرة في صدق عن آلامه الجسدية ومعاناته النفسيـــة

الرهيــبة ، والناقلة في الوقت نفسه ، لمشاعره الجريحة تأمل صورة الإيحائية التي تتحرك فيها المعاني محثوثة بالآلام قائلاً :-

قيدى أما تعلمني مُسلما أبيتِ أن تُشفق أو ترحما
دمي شرابٌ لك و اللحمُ قد أكلته ، لا تهشم الأعظُما
يبصرني فيك أبو هاشمٍ فينثني القلبُ و قد هُشما (395).

فيبينـــي هذه الصور بسهم في الحيوية والصدق ، وقد عَبر عن أحزانه وتشوقه إلى الانطلاق والحريّة .

ومن مصادر الصور الشعرية : القرآن الكريم وقد سبق ذكر ذلك من خلال الحديث عن التأثر بالقرآن الكريم .

وتقسم الصورة الشعرية الى الصورة البصرية ، الصورة اللونية ، والصورة االشمية والصورة الذوقية ، والصورة الحركية ، والصورة السمعية ومن أمثلة الصور البصرية في شعر الأسرة في الأندلس قول المعتمد بن عباد في زوجته :

لونُ كَسَتهُ صفرةُ ، ومدامعٌ هطلت سحائبها وجسمُ ناحلُ (396).

حيــث يلحض في هذه الصورة بروز عنصر اللون بشكل جلي ، وذلك لأنه يتضمن إيحـاءات تــتجاوز اللون المجرد ، فلون المعتمد مائل الى الشحوب والصفرة بسبب الشوق والهيمان وشدة التعلق بالمحبوبة .

ومن أمثلة الصور البصرية أيضاً قول المعتمد يستعطف والده طالباً رضاه يقول :

سخطك قد زادني سقاماً فابعث إلى الرضا مسيحا (397).

ومــن الصـــور البصرية أيضاً قول المعتمد يصور لنا ما حلّ به بسبب سخط والده علــيه فقــد أصيب جسمه بالنحول ، وامتلأ رأسه شيباً وهو ما يزال في ريعان شبابه لم يبلغ الكبر قائلاً :

وحُلتُ لوناً وما بالجسم من سقَم وشبت رأساً ولم يبلغني الكبر(398).

ومــن الصور البصرية أيضاً قول المعتمد في رثاء ابنيه المأمون والراضي وقد رأى قُمرية نائحة على سكنها يقول :

بكت أن رأت إلفين ضمَّهُما وكــرُ مساءً ، وقد أخنى على إلفها الدَّهرُ
بكت لم تُرقِ دمعاً ، وأسلبتُ عبرةً يُقصر عنها القطر وما همي القطرُ (399).

وهــي صورة في غاية الحسية ، و كأننا نعيش معها على الحقيقة لا على الوصف ، وقد أصاب الشاعر حين استخدم الفعل (رأت) لدلالته على الرؤية في ذاته ، وهذا استثمار لمعنى الفعل في حاسة البصر .

ومــن الأمــثلة على الصور البصرية قول المعتمد يصف لنا حال بناته بعد نكبــة والدهنّ ، فقد انتقلنّ من حياة العز إلى حياة الذّل والمهانة ، يمشنّ عواري يقول:

أأرغب أن أعيش أرى بناتي   عواري ، قد أضر بها الحفاء (400).

ومــن الأمثلة على الصور البصرية قول المعتمد بن عباد يصور لنا حال بناته وقد دخلنّ عليه وهو في السجن يوم العيد ، فرآهن في أطمار رثّة وحالة سيئة قائلاً :

ترى بناتكِ في الأطمار جائعةً   يغزلن للنّاس ، لا يملكّن قطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعـــةً   أبصارُهنَّ حسيرات مكاسيــرا

يطأن في الطين و الأقدامُ حافيةٌ   كأنها لم تطأمسكاً وكــافورا (401).

فقــد أصاب الشاعر حين افتتح الصورة بالفعل (ترى) لدلالته على الرؤية في ذاته ، وهــذا اســتثمار لمعنى الفعل في حاسة البصر ، وهو كذلك يدل على الزمن الحالي ، فكأن الســامع يــرى الآن بنات المعتمد بن عباد وقد دخلن لرؤية والدهن في السجن يرتدينّ ثياب رثّــة ، وقولها أيضاً مصوراً حاله و قد دخل عليه ابنه أبو هاشم إلى السجن فارتاع لما رأى والده يرسف في قيوده في أغمات قائلاً :

يبصرني فيك ابو هاشمٍ   فينثني القلبُ و قد هُشما (402).

ومــن الأمــثلة علــى الصور البصرية قول أبي اسحاق الإلبيري في رثاء زوجته مصوراً لنا الشيب و قد اعتلى رأسه وهو ما يزال في ريعان شبابه يقول :

وأرى شبابي ظاعناً في عسكرٍ   عنيّ وشيبي وافداً بعساكر (403).

ومــن الأمثلة على الصور البصرية قول أبو حيان الأندلسيّ يرثي ابنته نضار فهي كالشمس في إشراقها وجمالها يقول :

وحسن كأنّ الشمس في وجناته   أقامت لها ممسىً عليها مصبحُ (404).

ومــن الصــور البصــرية قوله في رثاء ابنته نضار مصوراً لنا جمال وجهها فهي كالقمر المنير :

ولكنني أبكيك إذ نلتقي معاً   فتبصر عيني وجهكِ الزاهرَ القمرْ (405).

ومن الأمثلة على الصور البصرية قول ابن الزقاق البلنسي في رثاء أخيه حسن مُشيراً الى تغير حاله بعد المرض فأخذ المرض ينهش جسمه يوماً بعد يوم :

ولم أنسهُ و السقمُ ينهبُ جسمهُ   والآمه في كلٍّ يومٍ تزيدُ (406).

ومن الصور الشمية قول المعتصم بن صمادح في زوجته :

تبلّغُ من ودّي اليكم رسائلاً   بأعبقَ من نشرا العبير و أعطرا (407).

ومن الصور الشمية قول أبى علي ادريس بن اليابسي في رثاء والدته حيث يشبهها بالكافور وبالمسك في الطيب يقول :

ذكياً يسحب الكافور منه   بمثل المِسْك مفضوض الختام (408).

ومن الصور الشمية أيضا قول أبي حيان الأندلسيّ في رثاء ابنته نضار وقد عبقت منها رائحة المسك والطيب يقول :

قد لزمتْ تُربة خلّتْ بها   عبقتْ طيباً ومسكاً أذفرا (409).

و قوله في موضع آخر:

عبقتْ من شذاهُمُ الأرض لمّا   وطئوهـا فتربُهَا معطارُ (410).

وقوله في موضع آخر:

وفاح أريج المسك من جنباته   كأن به بحرِ اللطائم واضعِ (411).

ومن الصور الشمية أيضا قوله في رثاء ابنته نضار :

يا تُربــةً قد حوت نضاراً   طبت شذاً بالذي حويتِ (412).

ومن الصور السمعية قول أُمية بن أبي الصلّت الأندلسي في رثاء والدته مشيراً لتغريد الحمائم فتشاركه أحزانه ، فهي رمزٌ للعاطفة الصادقة يقول:

أنوح لتغريد الحمائم بالضحى   وأبكي للمع البارق المبتسم (413).

ومن الصور السمعية قول المعتمد بن عباد عندما سمع نعيب الغراب والّذي يعده العرب رمزاً للشؤم على حين يرى المعتمد بن عباد في نعيبها فالاً حسناً ، فكان نعيبه ينبيء بقدوم بعض نسائه عليه في السجن ، فهو لذلك لا يتطير بالغراب الّذي يتشاءم منه العرب يقول :

غربان أغمات لا تعد مَنْ طيبةً   من الليالي أفناناً مـن الشّجر

تُظلّ زُغب فراخٍ تستكنُ بهـا   من الحرور أو تكفيها أذى المطر

كما نعبثنَّ لي بالفأل يُعجبنـــي   مخبرات به عن أطيب الخبر(414).

ومن الصور السمعية قول المعتمد بن عباد مصُوراً الحديد بإنسان يشدو إلا أنّ نشيده ثقيلٌ على سمعه فيقول :

يُعيد على سمعي الحديدُ نشيدهُ   ثقيلاً ، فتبكي العين بالجسّ والنقْرِ (415).

ومـــن الصور السمعية قول ابن عبدربـــه في رثاء ولده مصوراً لنا الحمامةِ فرحة مُغردة يقول :

أبكي عليك إذا الحمامة طرَّبتْ   وجه الصَّباح و غرَّدتِ تغريدا (416).

ومـــن الصـــور السمعية أيضا قول أبى حيان الأندلسيّ ناقلاً لنا صورة ابنته نضار المؤمـــنة بـــالله المؤدية الفرائض الواجبة عليها فهي في صلاتها تجهر أحيانا وتهمس أحيانا أُخرى يقول :

مُصلية حيناً عليـــــه و تارة   مسلمةً في الجَهر منها وفي الهمسَ(417).

ومـــن الصـــور السمعية قول المعتمد بن عباد مشيراً إلى صولَة أبيه والتي يهابها الأبطال قائلاً :

وفارساً ، تحذرُ الأبطالُ صولتهُ   صُن عبدَك القنَّ فهو الصارمُ الّذكرُ (418).

ومن الصور السمعية قول المعتمد بن عباد في رثاء ابنه سعد قائلاً :

فلا بُترت بُترُ ، ولا قُنيت قناً   ولا زأرت أسد ولا صهلت جُرد(419).

ومـــن الصور السمعية قول ابن درّاج القسطلي في حديثه عن أبنائه الأربعة وبناته السبع وما حلّ بهم إثر رحيله عنهم يقول :

فيا ضيق ذرعي لهُمْ بالزّفيرِ   علـــــى ذيقِ ذَرعْي بضيقِ الشّتاءِ(420)

وفي موضع آخر يقول :

كأن خفوق القلبِ مَدَّ جوانحي   بأجنحةِ ريشَتْ من الروّعِ و الذعرِ (421).

وهـــذا أبـــو حـــيان الأندلسيّ يصور لنا حديث ابنته نضار بأنه أنسٌ للقلب والسمع والبصر يقول :

وأحظى بحسنِ من حديثكِ إنّما   حدُيثكِ أنسٌ للقلبِ والسمعِ والبصـــرُ(422).

وقوله في موضع آخر :

لا ولا أسمع من ألفاظهـــــا   كلمـــــثــا قد أبرزتهـــــــا دررا

لو نظمـــــــن كنّ زُهرَ أنجمٍ   أو نثرن كنّ زهراً أنـــــورا (423).

ومـــن الصـــور السمعية قول ابن حمديس الصقلي وقد أتاه نعي والده وهو بعيدٌ عنه يقول :

أتاني بدار النوى نعيهُ   فيا روعةَ السمعِ بالداهية (424).

وقوله وقد أتاه نعي ابنته وهو بعيدٌ عنها أيضاً :

أتاني نعيُ عنك أذكى جوى الأسى   عليَّ : اشتعالَ النارِ في الخطب الجزلِ

وجاءك عنّي نعيُ حيّ فلم يُجـز   لك الكحلُ فيه ما لبست من الكحلِ(425).

ومن الصور الذوقية في شعر الأسرة في الأندلس قول المعتمد في زوجتهاعتماد :

وروضة حسن اجتنيها وبارداً   من الظّلم لم تُخطر عليّ شرائعه (426) .

وقوله مُستمتعاً بريقها العذب يقول :

فقبلت ما تحت اللّثام من اللّمى   وعانقت ما فوق الوشاح من العقدِ (427).

وقوله في موضع آخر :

وكأنني قبلت ثغرك والطُّلى   والوجنتين ونلت منكِ مُرادي(428).

ومن الصور الذوقية أيضا قول ابن حمديس الصقلي في رثاء زوجته على لسان ولديها :

وضعتني كرها كما حملتني   وجرى ثديها بشربي وطَعمي(429).

فقد أشار إلى الحليب الّذي كان طعامهم و شرابهم ومن الصور الذوقية قول الأعمى التُطيلي في رثاء زوجتة :

وأما أنا فالتعتُ واللهِ لوعةً   هي الخمرُ لو سامحتِ في لذّةِ السكرَ (430).

ومـــن الصور الذوقية قول ابن حيان الأندلسيّ مصوراً لوعته بفقد ابنته نضار وكأنه كأس خمر طعمها مرٌ يقول :

نضار لقد أسقيتني كأس لوعةٍ   هي الصبر المكروه أو طعمها أمرْ (431).

ومن الصور الحركية قول ابن درّاج القسطلي مشبهاً أبناءه بالطيور التي عصفت بها ريح السموم و طردتها عن أوكارها يقول :

بسبعٍ كسبعِ سَمامِ السَّمومِ   وأربعةٍ كربوعِ العفاءِ (432).

ومن الصور الحركية عنده أيضاً قوله مصوراً ما حلَّ به وبأبنائه إثر الفتنة :

فحملتهم وزراً و لو خفَّ منهمُ   جناحي لكان الطودُ أيسر من وزري

إلى كُلِّ مأوىٍ للجلاءِ هوى بنا   إلى حيث لا مهـوى عُقابٍ ولا نسرِ

طوين بنا بعد السِّفار كأنهـــا   ليالٌ وأيـــــامٌ طوين مدى العمر

فكم لْي بين اللّوح و اللّوح طائراً   وأوكارهم في طائرٍ غير ذي وكر(433).

وقوله أيضا مصوراً لنا حركة أمواج البحر وهي تتلاطم بعضها ببعض :

يطلبن لُجَّ البحرِ حيثُ تقاذفت   أمواجهُ والبرَّ حيثُ تنكرا(434).

وقوله مصوراً لنا ما حلّ بأبنائه إثر الرحيل الدائم :

شدَّ الجلاءُ رحالهم فتحملتْ   أفلاذ قَلبٍ بالهمومِ مُبددِ (435).

ومـــن الصور الحركية أيضا قول ابن حمديس في رثاء زوجتة (جوهرة) مصوراً لنا البحر إنساناً حاسداً وحاقداً على (جوهرة) لجمالها فكان سبباً في موتها يقول :

أماتكِ البحرُ ذو التيارَ من حَسَدٍ   لّما درى الدرُّ منه حاسداً ثغركِ (436).

ومن الصور الحركية قول المعتمد بن عباد في ابنه المأمون مصوراً حبه لابنه :

ودونك منا طيوراً غدت   تطيرُ إليك بريش الودادِ (437).

ومن الصور اللونية قول المعتمد بن عباد :

سألتك صفراء بكراً فجُد   عليّ بها شافعاً للمنن(438).

ومن الصور اللونية أيضا قول الرشيد يستعطف أباه قائلاً :

قد غنينا ببشره و سناه   عن ضياء الصباح والمصباحِ (439).

ومن الصور اللونية أيضا قول ابن حمديس الصقلي في رثاء والده قائلاً :

فحمَّر ما أبيض من عبرتي   وبيضّ لمتيّ الداجية (440).

ومن الصور اللونية لدى ابن الزقاق البلنسي قوله في رثاء زوجتة مصوراً ما ألمّ به بصورة الدجى أيّ الظلام الّذي لا ينجلي :

وشق وميضُ البرقِ ثوباً من الدجى   كأن لم يكن يُجلى بضوء سناك (441).

ومن الصور اللونية لدى الأعمى التُطيلي قوله في رثاء والدته :

حتّى إذا الصبح جلّى ليلها فزعت   إلى صيام بمرضاة الإلـــــه حري

وكأن محرابها والليلُ معتكـــــرُ   في هالةِ البدرِ بين البيضِ والعُشرِ (442).

ومن الصور اللونية قول أبو حيان الأندلسي في رثاء ابنته نضار قائلاً :

ولمّا أثاروا بالمساح بدالهم   ترابُ كمثل الورس أصفر فاقع (443).

ومـــن الصـــور اللونـــيه قول ابن درّاج القَسطلي مشيراً إلى ديارهم التّي غادروها فأصبحت مظلمة بعد أن كانت مُضيئه بوجودهم قائلاً

فكم تركوا معاهدَ مُوحشاتٍ عَفَتْ حتىّ عفا فيها العفـــاءُ

فأ ظلم بعد نا الأصباح فيها وكم دهرٍ أضاء بها الماء (444).

ومن الصور اللونية قول ابن الزقاق البلنسي في رثاء أخيه حسن مشيراً إلى أنَّ الدنيا قد عمها الظلام بعد وفاة أخيه بعد أن كانت مَضيئه بوجوده :

أضاءت به الدنيا زماناً لناظري فقد عمَّها ليلُ من الحزن سرمدُ (445).

ومن الصور البلاغية التشبيه والمتمثل في قول ابن درّاج القسطلي

بسبعٍ كسبع سمام السَّمومُ وأربعةٍ كربوُع العفاء(446).

شبه الشاعر في هذه الصورة أبناءه الأربعةَ وبناته السبع باالطيور التّي عصفت بها ريح السّموم فطردتها عن أوكارها .

ومن ذلك قوله:

وطار جناحُ الشوُقِ بي وهفتْ بها جوانحُ من ذُعر الفراقِ تطيرُ(447) .

فقـد شبه الشاعر الشوق بطائر حلقَ في السماء مخلفـاً زوجه وراءه وهي تكاد تطير من هول موقف الوداع بينهما .

ومن ذلك قول الشاعر أيضاً :

كأن خفوق القلب مدّ جوانحي بأجنحةٍ ريشَتْ من الرَّوعِ والذُعرِ (448).

فقـد شـبـه الشـاعر خفوق القلب بطائرٍ مكسوِ بريشٍ مصنوع من الروع والخوف . ومن قوله :

وتحت جناحي مَقدمي وتعطفيُ ثمانٍ وعالَتْ بالبنين إلى الشَّطِر (449)

فقد شبه الشاعر نفسه بالطير الذي يحمي تحت جناحيه أبنائه الثمانِ .

ومن التشبيه أيضاً قول المعتمد بن عباد في زوجه (اعتماد):

يا صفوتي من البشَرْ يا كوكباً ، بل يا قمر

يا غصناً إذا مشى يا رشأ إذ نظـــر (450).

فقد شبه الشاعر زوجتة (اعتماد) با لكوكب بل با القمر في إشراقة وجمال طلعته .

وقوله أيضا :

أأهجر ظبياً في ضلوعي كناسُه وبالبدرَ تمام في صُفوتي مطالعه(451).

فقد شبه زوجته با البرد في جماله.

ومن ذلك قول الشاعر أيضاً :

وهأ أنا ظمآن لمنهل وردكم وحسبتي موقوفُ على وردكم حَسبْي(452).

فقد شبه المعتمد والده المعتضد بالنهر الذي يرتاد عليه العطشى ليرتوا من مائه

ومن ذلك قول الشاعر أيضاً :

مولاى أشكو إليك داءً أصبخ قلبي به قريحا (453).

فقـد شبه الشاعر غضب والده عليه بالمرض أو الداء الذي ألمّ بجسمه ولا سبيل في شفائه إلاّ برضى والده عليه.

ومن ذلك قول الشاعر أيضاً :

يا ضيغماً ، يقتل الفرُسان مفترساً لاتوهنني فانّي النّاب والظفر(454).

فقد شبه المعتمد والده المعتضد بالأسد الذي ينقض على أعدائه فيقضي عليهم واحداً تلو الآخر .

ومن ذلك قول الشاعر أيضاً :

رضاك راحةُ نفسيِ لا فجعت به فهو العتادُ الّذي للدّهر يُدَّخر

هو المُدامُ التّي أسلوبهـا فإذا عدمتها عبثت في قلبي الفكرُ(455).

فقـد شـبه المعتمد رضا والده عليه بالسلاح والذخيرة التّي يدخرها الإنسان لأوقات الحاجـةَ كما وشبه رضا والده عليه بالخمر الذّي يروح عن به عن نفسه من أعباء الحكم والإدارة .

ومن ذلك قول الشاعر أيضاً :

ونجمان زينُ للزمان ،احتواهما بقرطبةُ النكداء، أو رنُدة القبرَ (456).

فقد شبه الشاعر ابنيه يزيد والفتح بنجمان يفتخر الزمان بوجودهما.

ومن ذلك قول الشاعر أيضاً :

أيا رشاقة غصن البان ما هصرت وياتآلفُ نظم الشمل من نثرك (457).

فقد شبه ابن حمديس زوجتة (جوهرة) بغصن البان في رشاقته .

ومن ذلك قول ابن صارة الشنتريني

الذئبة الطلساء عند نفاقها   والحيةُ الرقشاءُ عند عناقها (458).

فقد شبه ابن صارة زوجتة بالذئب في نفاقه وبالحية في عناقها .

ومن ذلك قول الشاعر أيضا :

لم تكن زوجةً ولكن كأم   وأنا كا بنها صغيرُ الصغار (459).

فقد شبه أبو حيان الأندلسيّ زوجته بأم له وشبه نفسه بأصغر اُبنائها

ومن ذلك قول الشاعر أيضاً :

كانت الروحَ بين جنبيّ راحت   فحياتي ضُارت كثوَبْ مُعار (460).

فقد شبه أبو حيان الأُندلسيّ حياته بعد وفاة زوجته بالثوب المُعارَ .

ومن ذلك قول الشاعر أيضاً :

وكانت نضارُ فيه شمساً منيرةً   فعوجل ذاك النور بالكسف والمحوِ (461).

فقد شبه أبو حيان الأندلسيّ ابنته نضار بالشمس إلاّ أنها أصيبت بالكسوف ، فانطفئ نورها ، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر أيضا :

حناها فامست كالهلال وزادها   صباح مشيب غالها منهُ نقصان (462).

فقد شبه الأعمى التطيلي انحناء والدته وقد أصابها الكبر كالهلال في انحنائه . ومن الصور البلاغيه التّي ظهرت في شعر الأُسره الاستعارة والتشخيص ، والاستعاره فن بياني جليل القدر ، عظيم التأثير عرّفه جمهور البيانيين بأنه " اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنيين الأصلي والمجازي مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي للفظ " (463).

ومن الأمثلة على الاستعارة المكنيه قول الشاعر ابن حمديس الصقلي :

أماتك البحرُ ذو التيار من حسدٍ   لمّا دُرىَ الدرُمنه حاسداً ثغرك (464).

فقد تحول البحر بفضل الاستعارة المكنيسة إلى مخلوقات لها أحاسيس ومشاعر ، ذلك عندما شّبه بالإنسان ، وهذا المشبه به محذوف ، وقد ناب عنه أشياء هي من لوازمه كالحسد ، لكن الاستعارة بطبيعتها القائمة على الادعاء وعمق الخيال قد مزجت بين البحر والإنسان ، حتى لكأنّ البحر من جنس الإنسان له صفاته ومشاعره ، أما الاستعارة المشخصة فمن الأمثلة عليها قول ابن حمديس الصقلي في زوجتة (جوهرة) قائلاً :

يا بحرُ أرخصت غير مكترث   .مُنْ كنتُ لا للبياع أُغليها (465).

فـــإن قـــارئ الأفعال (أرحضت ، يبيع) لا يشك في أنها تدل بوضعها على أفعال تصدر من الأحياء الذين يمتازون بالإرادة والتصرف ، وإذا بحثنا عن الذّي صدرت عـــنه الأفعـــال في هذه الصورة وجدناه البحر ، وذلك المشبه به هو الإنسان بحسه وعقله وأفعاله، وهكذا ألبس الشاعر البحر غير ثوبه وجعله يبيع جوهـــرة برخص.

ومـــن الأمثلة على الاستعارة المشخصة قول المعتمد بن عباد في رثاء إبنيه المأمون والراضي :

بكت أن رأت إلفين ضمُّهما وكرُ   مساءً وقد أخنى على إلفها الدَّهر (466).

فـــإن المـــتأمل في الفعل (بكت) لا يشك في أنه يدل على فعل يصدر من الأحياء الذين يمتازون بالإرادة والتصرف وإذا بحثنا عن الذي صدر عنه هذا الفعل في هذه الصورة وجدناه الحمام ، وذلك المشبه به هو الإنسان ، وهكذا ألبس الشاعر الحمام غير ثوبه وجعله يبكي على إلفه.

الخاتمة

ســـعى الباحث في هذه الدراسة إلى تتبع العلاقات الإنسانية بين أفراد الأسرة فـــي المجتمع الأندلسي ، وإلى أي مدى كانت هذه العلاقات على درجة من القوة ، إضـــافة إلى تتبع مصطلح الأسرة لغة واصطلاحاً ، ودراسة نماذج من شعر الأسرة دراسة فنية ، للكشف عن السمات الفنية الخاصة التي تجسدت في هذه النماذج .

وقد تناولت الدراسة في التمهيد مفهوم الأُسرة في اللغة والإصطلاح، فتبين أن هنالك ارتباطاً بين المعنى اللغوي والإصطلاحي للأسرة من حيث الدلالة على المنعة والقـــوة التـــي يجدها الفرد في أسرته وقبيلته، ووقفت الدراسة في التمهيد عند بيان أوضاع الأُسرة وبداياتها، وكيف وصلت إلى نظامها المعروف بالأُسرة الزوجية.كما تعرضـــت الدراســـة فـــي التمهيد للحديث عن الحياة الاجتماعية في الأندلس عامة وعصـــر الطوائـــف والموحديـــن خاصة، إذ تناولت الحديث عن العناصر المكونة للمجـــتمع الأندلسيّ من مثل العرب والبربر والموالـــى وأهل الذمة ، كما تعرضت

للحديــث عــن الصفات المميزة للشعب الأندلسي. والحديث عن الزي الخاص بأهل الأندلس. إضافة إلى الحديث عن ازدهار الحياة الفكرية والأدبية فيها، ولا سيّما في عصـــر الطوائف والمرابطين،إذ ساهم الملوك والأمراء أنفسهم في ازدهار الحركة الأدبية فيها، فكان منهم الشعراء والأدباء من مثل المعتمد بن عباد ، والمعتصم بـــن صمادح، والرشيد بن المعتمد، وغيرهم الكثير .

كما تناولت الدراسة في التمهيد الحديث عن البيئة الأندلسية وجمال طبيعتها، فقــد تميزت كل مدينة من مدنها بلون من الجمال اختصت به عن غيرها. فقد حفلت تلــك المــدن بالقصور الأنيقة والتي عني بها الملوك والأمراء أنفسهم، وأسرفوا في تزيـــنها وزخرفتها أيّما إسراف، كما وتناولت الدراسة الحديث عن مكانة المرأة عند الأندلســيين. فقــد كـــان للمرأة دوراً بارزاً في الحياة الاجتماعيـــة فقد ساهمت في تطوير الحياة الفكرية والأدبية فقد برز منهنّ النساء الشواعر والأدبيات .

وفي معرض الحديث عن الحياة الزوجية في الفصل الأول ولا سيّما العلاقات الإيجابـــية بين الزوج وزوجته ، اتضح أنّ الزوج يكن لزوجتة كل الحب والاحترام فقــد احتلــت الزوجة مكانه رفيعة عند بعلها تمثلت برابطة سامية متينة الأواصر ، جسّــدها الشاعر في صورة قلبه المضطرب بفجيعة الفراق ، إذ لا يستطيع أن يحيا بدونها، ففي بعدها شعر بالألم والأنين ، فقد كانت محوراً لحديثه وملهمـــة له ، وفي المقـــابل صـــور الشعراء موقف الزوجة المحبة لزوجها وحرصهـــا على حياته ، ووفائهـــا له بعد مماته ، كما وصور الشعر صورة الزوجة الوفية لزوجها التي تقف إلى جانبه في مرضه وتحاول أن تخفف عنه، كما وتتحمل مع زوجها أشد الظروف وأقصـــاها ، وتعـــيش معـــه علـــى الحلوة والمرة لا تتنكر له ، أما في الحديث عن العلاقـــات الســـلبية بين الزوجين كما صورها الشعراء ، تبين أن ثمّة علاقات سلبية واضـــحة كانـــت سبباً في تهدم بنيان البيت، ولا سيّما من جانب الزوجة التي تظن بـــزوجها الظـــنون ، وفـــي المقابل موقف الزوج الكاره زوجتة والذي تعرض لها بالهجـــاء ، بل وهجاء أهلها ونعتها بالصفات الدنيئة وتشبيهه لها بالحيوانات من مثل الحية الرقطاء والذئبة وغير ذلك مما دفعة إلى الانفصال عنها طوال حياته .

وتجلّت العاطفة الصادقة عند الآباء والأبناء في الفصل الثاني، فجاءت النصوص الشعرية تكشف عن طبيعة العلاقة القائمة بين الآباء والأبناء، إذ تحمل صوراً تكشف عن صدق العاطفة ورهافة المشاعر عند الآباء والأبناء، فقد كان الأب الأندلسيّ عطوفا على أبنائه لا يتحمل البعد عنهم ويشكو فراقهم خير من يدلل على ذلك شعر الرثاء الذي صور لنا صورة الأب المفجوع بابنه، مُخلفا له الحسرة والحزن والألم وفي المقابل بدت العاطفة واضحة في رثاء الأبناء لآبائهم، إذ ظهرت صورة الابن المفجوع الذي حرص على تعداد مناقب والده التي طُويت بموته .

وتجلت العاطفة الصادقة عند الأُمهات والأبناء والإخوة في الفصل الثالث فبدت الأم مثالاً للخير والعطاء وملاذا للرجوع إليها في فترات الشدة والضيق ، فقد حمل لها الأبناء معاني التقديس والإجلال فقد حظيت الأم الأندلسية بمكانه رفيعة ، ومما يدل على ذلك ظاهرة النسبة إليهنّ ، إذ انتسب عدد من الأدباء والشعراء الأندلسيين إلى أمهاتهم ، وأظهر الشعر الأندلسي عاطفة الأم تجاه أبنائها بوضوح وبخاصة في شعر الرثاء، فالأم بكت ابنها المتوفى بحسرة وألم ، فلم تكن تملك إزاء مصابها الجلل سوى الصبر على ما ألمّ بها ، واحتساب الأجر عند الله سبحانه وتعالى ، وتبدو العاطفة الصادقة والمشاعر الجياشة عند الأبناء تجاه أُمهاتهم جلية في شعر الرثاء ، الذي يبين حالة اليأس والحسرة التي يصل إليها الابن الذي فقد أُمه بعد أن تعهدته صغيراً وقامت على تنشئته حتى أصبح شاباً ، كما وتناول العلاقات الإنسانية بين الإخوة في المجتمع الأندلسيّ . إذ تظهر العاطفة الصادقة الممزوجة بالألم والحسرة بصورة واضحة في رثاء الإخوان ، فما أن يفقد الشاعر أخاه حتى يبكيه بشعر يتفطر ألماً وحسرة ، معبراً عن لوعة الفراق .

وختمت الرسالة بالدراسة الفنية التي تناولت نماذج من شعر الأسرة تم اختيار نماذج بينت العلاقات الإنسانية بين أعضاء الأسرة ، فتم دراستها دراسة فنّيّة من حيث الوقوف عند العناصر القصصية ، واللغة والأساليب والصورة الشعرية ، والمعاني والأفكار ، وقد اتضح من خلال دراسة تلك النماذج أنّ المعاني والألفاظ والصور الشعريّة ، كانت على درجة كبيرة من البساطة والوضوح . وبرزت

العناصـــر القصصـــية التي تمثل فيها علاقات إنسانية بين الزوج والزوجة أو الآباء والأبناء ، فظهرت عناصر العقدة والحوار والشخوص والسرد للأحداث، وقد لوحظ أن الواقعـــية في نقل الأحداث وتصويرها بصورة مباشرة كانت مظهراً واضحاً في هـــذه النماذج ، إذ إن الشاعر الذي كان ينقل حالة اجتماعية أو تجربة شخصية . لم يكـــن بحاجـــة إلـــى مبالغة وتزويق في اللغة والصور والألفاظ ، لذلك جاءت اللغة واضحة وبسيطة .

وتواجـــه الـــدارس للجوانـــب الفنية في شعر الأُسرة في الأندلس من عصر الطوائـــف حـــتى نهايـــة عصر الموحدين مشكلة تتمثل في عدم وجود قصائد كاملة تتناول الظواهر الأُسرية ، وأن مُعظم ما نقل منه كان مختارات من قصائد مطولة إذ إنّ ما ورد عن الأسرة كان يأتي ضمن قصائد أُخرى في المدح يُصور الشاعر فيها أحـــوال أُســـرته . وجـــل القصائد الكاملة التي تناولتها هذه الدراسة كانت في رثاء الزوجات والأبناء .

قائمة الهوامش

1- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر – بيروت ، مادة " أسر " .

2- محمد عقله:نظام الأسرة في الإسلام،ط2،مكتبة الرسالة الحديثة،عمان،1982،ج18/1.

3- سناء الخولي :الأُسرة والمجتمع ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1992 ، ص 115 .

4- علي عبدالواحد :الأسرة والمجتمع ، ط8، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة ، ص 12 .

5- مصطفى الخشاب : دراسات في الاجتماع العائلي ، (د. ط) ، 1985 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ص 52- 53 .

6- علي عبدالواحد : السابق ، ص 14 .

7- علي محمد سلامة ، الأدب العربي في الأندلس – تطوره – موضوعاته وأشهر أعلامه ، ط1 ، 1989 ، الدار العربية للموسوعات ، ص 24 .

8- عبدالعزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، (د . ط) ، 1976 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ص 94 – 98 .

9- علي محمد سلامه : السابق ، ص 26 .

10- نفسه ، ص 26 .

11- نفسه ، ص 28 .

12- نفسه ، ص 29 .

13- مراجع الغناى : سقوط دولة الموحدين ، (د. ط) ، 1988 ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ص 37 .

14- عبدالعزيز عتيق : السابق ، ص 113 – 117 .

15- علي سلامه : السابق ، ص 30 .

16- عبدالعزيز عتيق : السابق ، ص 133- 135 .

17- أحمد المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج1 ، ط1 ، 1968 ، دار صادر ، بيروت ، ص 223 .

18- إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، ط7 ، 1985 ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، ص 24 .

19- مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ط2 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ص 71 .

20- نفسه ، ص 73- 78 .

21- عبدالعزيز عتيق : السابق ، ص 154 .

22- مصطفى الشكعة ، السابق ، ص 23 .

23- نفسه ،ص 28 .

24- سعد شبلي : البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف ، (د.ط)، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة ، ص 53 .

25 - محمد أبو حسين : صورة المرأة في الأدب الأندلسيّ في عصر الطوائف والمرابطين (د. ط) ، 2003 ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، ص 34 .

26- عابدة المدنية: من الجواري القادمات من المشرق على الأندلس كانت سوداء من رقيق المدينة المنورة ، وهي من روايات الحديث الشريف . أنظر ترجمتها : النفح ج 4/ 123.

27- أحمد المقري : نفح الطيب ، ج 4 / 123.

28- محمد الريسوني: الشعر النسوي في الأندلس، قدم له العلّامة عبدالله كنون ، (د. ط) 1978 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ص 40 .

29- مهجة القرطبة:شاعرة جميلة الخلقة عذبة الحديث،من أجلّ نساء زمانها،وعلقت بها ولادة،ولازمت تأديبها ، وكانت من أخفّ النّاس روحاً . أنظر ترجمتها ، النفح ج4 / 293.

30- هي ولادة بنت محمد بن عبدالرحمن النادُر الملقب بالمستكفى الذي تولى الخلافة سنة 414 هـ . شاعرة متهتكة مجاهرة بملذاتها طال عمرها حتى بلغ الثمانين ولم تتزوج قط توفيت سنة 484 هـ ، أنظر ترجمتها:النفح ج4 /205- 211 ، الشعر النسوي 73 - 87

31- أحمد المقري : نفح الطيب ، ج 4 / 293.

32- نزهون بنت أبي بكر محمد بن أحمد بن خلف بن عبدالملك بن غالب الغساني ، شاعرة ماجنة كثيرة النوادر ، كان والدها محمد بن خلف القليعي قاضياً ، انظر ترجمتها : النفح ج 4 / 295 .

33- أحمد المقري : نفح الطيب ، ج 4 /296 .

34- نفسه ، ص 296 .

35- شاعرة عاشت في القرن الخامس الهجري ، تعرف بالحجازية نسبة إلى بلدها وادي الحجارة ، وهي من الشواعر اللواتي يفخر بهن بلدهن ، انظر ترجمتها: النفح ج 4/ 169 ، والشعر النسوي ، ص 94 .

36- جارية أندلسية ظريفة ذات ثقافة لا غبار عليها، انظر ترجمتها :النفح ج4 / 286 ، والشعر النسوي ، ص 95 .

37- محمد سعيد الدغلي : الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي ، ط1 ، 1984 ، دار ابن هانئ للنشر والتوزيع ، دمشق ، ص 47 .

38- عائشـــة بنت أحمد بن محمد بن قادم القرطبية ، لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعدلها علماً وفهما وأدباً وشعراً وفصاحةً ، كانت حسنة الخط .

39- أحمد المقري : نفح الطيب ، ج4/ 290 .

40- سعد شلبي:البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف،السابق،ص 443 .

41- أحمد المقري : نفح الطيب ، ج 5 / 348.

42- محمد أبو حسين : السابق ، ص 51- 52 .

43- نفسه ، ص 53 .

44- نفسه ، ص 53- 54 .

45- سلمى علي : المرأة في الشعر الأندلسي – عصر الطوائف – رسالة ماجستير الجامعة المستنصرية ، بغداد ، 1986 ، ص 63 .

46-القرآن الكريم : سورة النساء : الآية رقم (1) .

47- سورة الأعراف : الآية رقم (189) .

48- مصطفى الخشاب : السابق ، ص124- 125 .

49- سورة المائدة : الآية رقم (5) .

50- سورة النساء : الآية رقم (25) .

51- صـــلاح خـــالص: إشـــبيلية في القرن الخامس الهجري، (د.ط)،1981،دار الثقافة ، بيروت ، ص 96 .

52- سلمى علي : السابق ، ص 64 .

53- صلاح خالص : السابق ، ص 93 .

54- حســن الــنوش : التصـــوير الفني للحياة الاجتماعيـــة في الشعر الأندلسي ، ط 1 ، 1992 ، دار الجيل ، بيروت ، ص 137 .

55- محمد أبو حسين ، السابق ، ص 70 – 71 .

56- اعــتماد الرميكية : كانت سرية المعتمد بن عباد اشتراها من رميك بن حجاج ، فنسبت إليه ، ثم تزوجها المعتمد وأنجبت له الملوك ، توفيت بأغمات قبل المعتمد بأيام ، ولم ترقأ له عــبره ولا فارقـــته حسرة حتى قضى نحبه حزناً عليها . انظر ترجمتها : النفح ج211/4، الشعر النسوي ، ص 99- 101 .

57- المعتمد بن عباد : الديوان ، جمعة وحققه الدكتور حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي راجعة الدكتور طه حسين،(د.ط)، 1997،مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ص 10 .

58- نفسه ، ص10 .

59- نفسه ، ص 23.

60- محمد أبو حسين ، السابق ، ص71 .

61- المعتمد بن عباد ، الديوان ، ص 13 .

62- أنجـل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسيّ ، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس ط1 ، 1955 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص 95 .

63- المعتمد بن عباد : الديوان ، ص 8 .

64-محمد رضوان الدّاية:أندلسيات شامية،ط1، 2000،دار الفكر،دمشق، سورية،ص195 .

65- أحمـد ابن سوده: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس ، الجزء الثاني ، ط1 ، 1995، دار الأمير ، ص253 .

66- أحمد المقري ، نفح الطيب ، ج1 / 440 .

67- المعتمد بن عباد : الديون ، ص 18-19 .

68 - نفسه ، ص 19 .

69- هـنري بـيريس : الشعر الأندلسيّ في عصر الطوائف – ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية،ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي ، ط1، 1988 ، دار المعرف ، القاهرة ، ص 352 .

70- المعتمد بن عباد : الديوان ، ص6 .

71 - ابـن حـزم الأندلسيّ :رسائل ابن حزم الأندلسيّ ، تحقيق إحسان عباس ، ج2، ط2، 1987 المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ص 110 .

72- أبو حيان الأندلسيّ :الديوان، تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي ، ط 1 ، 1969 ، مطبعة العاني ، بغداد ،ص 423 .

73- نفسه ، ص 203-204 .

74- ابـن درّاج القسـطلي : الديوان : تحقيق الدكتور محمود علي مكي ، ط1 ، 1961 ، منشورات المكتب الإسلامي ، دمشق ، ص 298 – 299 .

75-علي محمد سلامة ، السابق ، ص277 – 278 .

76- نفسه ، ص 276 .

77- ابن دراج القسطلي : الديوان ، 13 .

78- نفسه ، ص 536 .

79- محمد أبو حسين ، السابق ، 73 .

80- هـو عبيد الله بن الرشيد ،أكبر أولاد المعتمد ولد له سبعة وأربعون ولداً وكان دمثاً ، رقـيق حاشية الطبع ، طالع شيئاً من العلوم الرياضية توفى سنة (530) وكان عمرة سبعون سنه انظر ترجمته . الحُله السّيراء ، ج2 / 68 .

81 – ابـن الأبـار : الحلـه السّيراء: تحقيق حسين مؤنس ، ج2 ، ط1 ، 1963 الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ص 69 .

82- هو أبو محمد طلحة سعيد بن القبطرنه من شعراء الطوائف . انظر ترجمته : الإحاطة ج1 / 520 .

83- الفـتح ابـن خاقـان : قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، تحقيق حسين خريوس ،ط1، 1989 ، مكتبة المنار ، الزرقاء ص434 .

84- محمد أبو حسين : السابق ، ص78 .

85- هـو أبـو بكر محمد بن أحمد الأنصاري المشهور بالأبيض . شاعر مشهور بالهجاء وكـان وشاحاً وطاح دمه على يد الزبير أمير قرطبة لما هجاه، توفي سنة (525) هـ انظر ترجمته . نفخ الطيب ج3 / 489، ج5/38 .

86- صـفوان ابـن ادريس : زاد المسافر وغرة محيـا الأدب السّافر ، تعليق عبد القادر محداد (د.ط) ، 1980 ، دار الرائد بيروت العربي ، لبنان ، ص108 .

87- محمد أبو حسين : السابق ، ص185 .

88- الفـتح ابن خاقان : مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس : تحقيق محمد علي الشوابكة ، ط1 ، 1983 ، م1 ، دار عمار مؤسسة الرسالة ، ص318 .

89- ابـن بسام الشنترنيي : الذخيرة في محاسـن أهل الجزيرة : تحقيق إحسان عباس ، م (1) ق (3) ، (د.ط) ، 1979 ، دار الثقافة ، بيروت ، ص20 .

90- المعتمد بن عباد : الديوان ، ص19 .

91- مصطفى الخشاب : السابق ، 125 .

92- حسن النوش : السابق ، ص 136 .

93- أحمد المقري : النفح ، ج5 / 294 .

94- نفسه ، ص 294 .

95- نفسه ، ص 294 .

96- محمد رضوان الدّاية : أندلسيات شامية (السابق) ، ص196 .

97- المعتمد بن عباد : الديوان ، ص 114 .

98-محمد أبو حسين : السابق ، ص 62 .

99- ابن حمديس الصقلي : الديوان ، صححه وقدم له الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت – 479 .

100- نفسه ، ص 479.

101- علي الهاشمي : المرأة في الشعر الجاهلي ، (د.ط) ، 1960 ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ص 182 .

102- ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص 480 .

103- نفسه ، ص 480 .

104- نفسه ، ص 478-479 .

105- سورة الأحقاف : آية رقم (15) .

106- سورة المؤمنون : آية رقم (14) .

107- سعد شلبي:ابن حمديس - شاعراً -(د.ط) ،دار الفكر العربي،القاهرة،ص121 .

108- نفسه ، ص118-119 .

109- ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص 212- 213 .

110- سعد شلبي : ابن حمديس الصقلي - شاعراً - ، ص119 .

111- ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص 315 .

112- محمد أبو حسين : السابق ، ص 65 .

113- ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص517 .

114- نفسه ، ص 324 .

115- هو أبو اسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعيد النجيبي الغرناطي الإلبيري توفي سنة (460) هـ انظر ترجمته . المُغرب ج2/ 123 .

116- أبو اسحاق الإلبيري : الديوان ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الدّاية ، ط2، 1981 ، دار قتيبة ، ص74-75 .

117- محمد رضوان الدّاية : في الأدب الأندلسيّ ، ط1 ، 2000 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ص 142 .

118- هو علي بن عطية الله بن مطرف بن سلمة اللخمي وهو ابن أخت الشاعر ابن خفاجة توفي سنة (530)هـ ولم يبلغ من العمر (40) سنة . انظر ترجمته : المغرب ج323/2 .

119- محمد أبو حسين : السابق ، 176 .

120- ابن الزقاق البلنسي : الديوان . تحقيق عفيفة محمود ديراني ، دار الثقافة ، بيروت، ص 226 -227 .

121- محمد مجيد السعيد : الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، ط2 ، 1985 الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، لبنان ، ص 306 .

122- أبـو عامـر محمد بن الحماره الغرناطي ، شاعر أديب ، مُجيد خبيث الهجاء ، تتلمذ على ماجة ، وقيل أنه برع في علم الألحان انظر ترجمته : رايات المبرزين – لابن سعيد ، ص 232 .

123- ابـن سعيد الأندلسي: رايات المبرزيـن وغايات المميزيـن ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الدّاية ، ط1 ،1987 ، دار طلاس للدراسات والنشر ، دمشق ، ص233 .

124- محمد رضوان الدّاية : في الأدب الأندلسيّ ، ص143 .

125- نفسه ، ص 143 .

126- الفتح ابن خاقان : قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، ص 434 .

127- ابن الحداد الأندلسي : الديوان ، تحقيق الدكتور يوسف على طويل ، ط1 ، 1990 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص304 .

128- الأعمـى التُطليـي : الديوان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس (د.ط) ، 1989 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ص 70-71 .

129- محمد أبو حسين : السابق ، ص75 .

130- الأعمى التُطيلي : الديوان ، ص 71 .

131- محمد أبو حسين : السابق ، ص 176 .

132- ابـن خفاجـة : الديـوان ، تحقـيق سـيد غـازي ، ط2 ، 1979 ، دار المعارف الإسكندرية ، ص 149 .

133- فـوزي سعد عيسى : الشعر الأندلسيّ في عصر الموحدين . (د. ط) ، 1996 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ص 172 .

134- فوزي الخطبا: شعر ابن جبير، ط1،1991، دار الينابيع للنشر والتوزيع،ص 33 .

135- ابـن الأبـار : الديـوان ، تعلـيق الدكتور عبد السلام الهراس (د.ط) 1989 الدار التونسية للنشر ، ص 209 .

136- سلمى علي : السابق ، ص66 .

137- ابـن عـبد ربّة : العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، الجزء الثالث ، ط3 ، 1966 وطبعة القاهرة 1965 ، 224 .

138- سلمى علي : السابق ، ص67 .

139- حسن النوش : السابق ، ص 138 .

140- نفسه ، ص 138 - 139.

141- هـو أبـو محمد عبدالله بن محمد بن صارة الشنتريني نزل إشبيلية ، وسكنها وتعيّش فـيها بالوراقة ، وتجول في بلاد الأندلس شرقاً وغرباً للتعليم بالعربية ، وكان حسن

الخـــط ، جيد النقل ، قائماً على جمهرة من اللغة والنحو ، توفي سنة (517) هـــ .
انظر ترجمته . الذخيرة : ص 834 :
142- ابن بسام الشنتريني : السابق ص 844 .
143- العمــاد الأصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء المغرب - تحقيق محمـــد المرزوقي ، ومحمد العروسي والجيلاني بن الحاج يحيى ،(د.ط)، 1966 ، الدار التونسية للنشر ، ص 145 .
144- سلمى علي : السابق ، ص75 .
145- المعتمد بن عباد : الديوان ص 20 .
146- نفسه ، ص 19 .
147- نفسه ، ص 6 .
148- سلمى علي : السابق ، ص75 .
149- حسن النوش : السابق ، ص 139 .
150- أحمد المقري : نفخ الطيب ، ج5 /297 .
151- سلمى علي : السابق ، ص 81 .
152- ابن بسام الشنتريني : الذخيرة ، م 2 / ق 3 / 896 - 897 .
153- سلمى علي : السابق ، ص81 .
154- ابن بسام الشنتريني : الذخيرة ، م 2 / ق 3 / 896- 897.
155- نفسه ، ص 896- 897 .
156-ماهر المبيضين:الأسرة في الشعر الجاهلي - دراسة موضوعية وفنية - 2003 ، وزارة الثقافة ، عمان - الأردن ، ص 107 .
157-هو خلف بن فرج الإلبيري ، كان باقة عصره وأعجوبة دهره له طبع حسن وتصرف مستحسن في مقطوعات الأبيات وخاصة إذا هجا وقدح أما إذا طوّل ومدح فقلما رأيته أفلح ولا أنجح أنظر ترجمته : الذخيرة ج2/ ق 1 ، ص 372 .
158-ابن بسام الشرنتيني : الذخيرة ، ق 1 / م 2 / 383 .
159-هـــو أبـــو الحسن عليّ بن عبدالغني الكفيف المعروف بالحصري ، طرأ على جزيرة الأندلـس منتصـف المائــــة الخامسة مـــن الهجرة بعد خراب وطنــــه بالقيروان توفـــي سنــة (488) ، أنظر ترجمته في الذخيرة ق 4 / م 1 / 245- 246 .
160-ابن بسام الشرنتيني : الذخيرة ، ق 4 / م 2 / 214 .

161-هـو الأديـب الكـامل أبي عبدالله محمد بن شرف ، كان بالقيروان ، من فرسان هذا الشـأن ، واحد من نظم قلائد الآداب وجمع أشتات الصواب ، وتلاعب بالمنظوم والموزون أنظر ترجمته: الذخيرة ق4 / م 1 / 169 – 170 .

162-محمـد مولـود المشهداني : الشعر الإجتماعي في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف ، رسالة دكتوراه ، 1990 ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ص 62 .

163-ابن بسام الشنتريني : الذخيرة ، ق ا / م1 / 219 .

164-ابن الزقاق البلنسي : الديوان ، ص 176- 177 .

165-أحمد هيكل : الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، (د. ط) ، 1979 ، دار المعارف – القاهرة ، ص 316 .

166-نفسه ، ص 313 .

167-هـو أبو عامر:محمد بن عبدالله بن أبي عامر المعروف بالمنصور،معافري قحطاني أصلـه من الجزيرة الخضراء ورد إلى قرطبـة شاباً فطلب العلم والأدب وسمع الحديث ثم ارتفعت حاله ثم تسلم الحكم وزمام الأمور بعد وفاة الحكم سنة(366)هـ ، توفـي سنة (392) هـ وعمره (65) سنه وحكم (25) سنة انظر ترجمته : نفح الطيب،ج399/1 .

168-ابن درّاج القسطلي : الديوان ، ص 13- 14 .

169- نفسه ، ص 74.

170- نفسه ، ص 19 .

171- نفسه ، ص 126 .

172- نفسه ، ص 340 .

173-هـو الوزيـر الحكيم الأديب الحسيب أبو بكر محمد بن أبي مروان بن أبي العلاء بن زهـر مولـده بمدينة إشبيلية ونشأ بها وتميز في العلوم ، وأخذ صناعة الطب عن أبيه وكان حافظـاً للقـرآن ، وسمع الحديث ، وله موشحات مشهورة ، ويغني بها ، وهي من أجود ما قيل في ذلك أنظر ترجمته : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص 109 .

174-ابـن أبـي أُصـيبعه: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ج3 ، ط3 ، 1981 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ص 114 .

175-أبو هاشم كنيته،أصغر أولاد المعتمد،وكان أحبهم إلى أبيه وأحظاهم على صغره لديه، كان تركه عليلاً بإشبيليه حينما ذهب إلى القتال في معركة الزلاقة أنظر : الديوان ، ص48.

176-ابـن عُذاري المراكشي : البيان المغرِب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق إحسان عباس ، ج4 ، ط3 ، 1983 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ص 137 .

177-المعتمد بن عباد : الديوان ، ص 48 .

178- نفسه ، ص 112 .

179-هو أبو بكر عبدالعزيز بن سعيد البطليوسي ،كان كاتبا للمتوكل بن الأفطس ثم لابن تاشفين توفي سنة (520) هـ انظر ترجمته : الذخيرة ق2/م753/2 ،

180-ابن بسام الشنتريني : الذخيرة ق2/م61/1 .

181-المعتمد بن عباد : الديوان ، ص90 .

182-نفسه ، ص100_101 .

183-هو أبو الصلت أُميّة بن عبد العزيز بنْ أبي الصلت من بلد دانية من شرق الأندلس وهو من أكابر الفضلاء في صناعة الطب وله التصانيف المشهورة والمآثر المذكورة ، وحصّل من معرفة الأدب ما لم يدركه كثير من سائر الأدب انظر ترجمته : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،ص86 ، ووفيات الاعيان ص243.

184-أُميّة بن أبي الصلت الأندلسيّ : الديوان ، تحقيق عبد الله محمد الهوني،ط1، 1990 ، دار الاوزاعي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، لبنان ، ص144.

185-كان المعتضد بالله قد بعث بابنيه جابر ومحمد إلى مالقه بعد تقلص الظلال الحمودية عنها فاستوليا عليها سنة (458) هـ ثم لم يلبث المناربه أن استصرخوا أميرهم باديس فأسرع إلى محاربة ابنيّ عباد فهزمهما واضطرهما إلى الفرارة إلى رنده .

186-المعتمد بن عباد : الديوان ، ص 36- 37 .

187- نفسه ، ص 33.

188-نفسه ، ص 34 .

189-نفسه ، ص 45.

190- نفسه ، ص 93 .

191- نفسه ، ص 94.

192-هو أبو عبدالله محمد بن عمار الكلاعي الميورقي ، قدم مصر وروى عن ابن الوليد بها ، وكان عالماً ، سمع من المذكور الحافظ القاضي أبو بكر ابن العربي في رحلتـه سنة (485) ، ووصفه بالعلم ، أنظر ترجمته : نفح الطيب ج2 /60 .

193-أحمد المقري : نفح الطيب ، ج2/ 60 .

194-هو أبو عمران ، موسى ابن محمد بن عبدالملك بن سعيد ، ولد في الخامس من رجب عـام (573) هـ ، وتوفـي بثغر الإسكندريـة يوم الاثنيـن الثامن من شوال عام (640) هـ ، انظر ترجمته : المُغرب 99/2.

195-أحمد المقري : نفح الطيب ، ج 2 / 353 .

196-ماهر المبيضين : السابق ، ص 117 .

197-هـو أبو يحيى محمد بن معن بن بدر بن أحمد بن صمادح التجيبي ، صاحب المرية قام بالأمر فيها سنة (444) هـ،بعد وفاة أبيه ، ولم يزل فيها حتى توفي سنة 484 ، انظر ترجمته : النفح ، 5 / 346 .

198-ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج88/2.

199- نفسه ، ص 89 .

200-هـو أبـو جعفر أحمد بن عبدالملك بن سعيد العنسي ، قال قريبة أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد ،سمعتُ أبي يقول: لا أعلم في بنى سعيد أشعر منه توفي سنة (550) هـ ، انظر ترجمته : نفح الطيب ، ج4 / 179 .

201-أحمد المقري : نفح الطيب ، ج4 / 180 .

202- نفسه ، ص 180 .

203-ابـن سعيد الأندلسيّ:المغرب في حلى المغرب،تحقيـق الدكتور شوقي ضيف،ط 3، دار المعارف ، القاهرة ، ج 2 / 167 .

204-أحمد المقري : نفح الطيب ، ج 4 / 189 – 190 .

205-هو أبو مروان عبدالملك بن إدريس ، أحد كُتاب الدولة العامرية وكان حيناً علي الشرطة للمنصور، سخط عليه المنصور فحبسه ، انظر ترجمته : النفح ، ج 1 / 529 .

206-أحمد المقري : نفح الطيب ، ج 1 / 531 .

207- نفسه ، ص 532 .

208- نفسه ، ص 531 .

209-ابن بسام الشنتريني : الذخيرة ، ق 4 / م 1 / 298 .

210-محمد أبو حسين : السابق ، ص 111 – 112 .

211-يحيـي الغـزال :الديوان، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية ، ط1 ، 1982 ، دار قتيبة ، ص 87 .

212-هـي بثيـنة بنت المعتمد بن عباد،وأمها اعتماد الرميكية صاحبة (يوم الطين)،شاعره أندلسـية تمـيزت بجمالها وذكائها ورقة شعرها، وكانت من جملة من سُبى لما أُحيط بأبيها، ووقـع النهـب فـي قصره أنظر ترجمتها:تراجم أعلام النساء، لرضوان دعبول: ص 50، شاعرات العرب في الإسلام لجورج غريب،ص200- 202.والشعر النسوي 102-103 .

213-مصطفى الشكعة : السابق ، ص 170 .

214-أحمد المقري : نفح الطيب ، ج4 / 284 – 285 .

215- نفسه ، ص 285 .

216-نفسه ، ج1 / 229 – 230 .

217-ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص 62 .

218- نفسه : ص 365.

219-هو أبو بكر محمد الأعمى المخزومي،كان أعمى شديد القحة والشرّ معروفاً بالهجاء ، مُسلطاً على الأعراض، سريع الجواب ذكي المذهن، فطناً للمعاريض، سابقاً في ديوان الهجاء، فإذا مدح ضعف شعره، توفي سنة (540) أنظر ترجمته:الإحاطة424/1.

220 – فوزي عيسى:الهجاء في الأدب الأندلسي،(د.ط)،دار المعارف،الإسكندرية،ص175 .

221-ابن سعيد الأندلسيّ : المغرب في حُلى المغرب ، ج 1 / 229 .

222-هو أبو جعفر أحمد بن أحمد الداني ،من مدينة دانيه ، كأن أنبههم موضعاً ، وأوسعهم عند ملوك الطوائف موقعاً ، له إحسانٌ كثير منظوم ومنثور أنظر ترجمته : الذخيرة / ق 3 / م 1 / 757 .

223-ابن بسام الشنترني : الذخيرة ، ق 3 / م 2 / 758 .

224-يحيي شامي:أروع ما قيل في الرثاء،ط1،1992،دار الفكر العربي،بيروت،ص 37 .

225-جبرائيل جبور : ابن عبدربّه وعقده ، ط2 ،1979،منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت – لبنان ، ص 189 .

226-ابن عبدربّه الأندلسي : الديوان ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الدّايه ، ط2 ، 1979 ، دار الفكر ، دمشق ، ص 105 .

227- نفسه ، ص 82 – 83 .

228-نافع محمود : اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري ، ط1 ، 1990 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ص 179 .

229-ابن عبدربه السابق ، ص 71 .

230-نافع محمود : السابق ، ص 178 .

231-ابن عبدربّه ، السابق ، ص 189 .

232-ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص 364 .

233-سعد شبلي : ابن حمديس الصقلي – شاعراً – ص 122 .

234-ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص 365 .

235-نفسه ، ص 366 – 367 .

236-مجموعة من الأدباء : الرثاء ، (د.ط) ، (د .ت) ، دار المعارف ، ص 23 .

237-هو أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف ، فقيه متكلم ، أديب شاعر سمع بالعراق ، ودرس الكلام ، وصنف إلى أن مات ، وكان جليلاً ، رفيع القدر رحل إلى بغداد ودمشق

ولقي في رحلتـــه غير واحد وتفقه بالقاضي أبـــي الطيب الطبري وغيره ، ولد سنـــة (403) وتوفي سنة (474) ، أنظر ترجمته : النفح ،ج2 / 67- 77 .

238-أحمد المقري : نفح الطيب ، ج2/ 75 .

239- نفسه ، ص 75 .

240-منجد بهجت : الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، (د . ط) ، 1988 ، دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة الموصل ، ص 136 .

241- نفسه ، ص 136 .

242-أحمد المقري : نفح الطيب ، ج4 / 325.

243-أبو حيان الأندلسي : الديوان ، ص 123 – 124 .

244-نفسه ، ص 143- 144 .

245-نفسه ، ص 228- 229 .

246-نفسه ، ص 200- 201 .

247-نفسه ، ص 192 .

248-فوزي عيسى : الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ، ص 170 .

249-ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج2/ 52 .

250-هــو أكـبر أولاد المعــتمد ، استخلفه أبوه على قرطبة بعد تغلبه عليها وإخراج ابن عكاشـــة منها ، وقتله إياه انتقاما منه لسراج الدولة بن المعتمد ، توفي سنة (484) ، أنظر ترجمته : ديوان المعتمد بن عباد ، ص 68 .

251-هو أبو خالد يزيد بن المعتمد كان كلفاً بمطالعة الكتب والدواوين مولعاً بالشعر ، ولي الجزيــرة الخضراء، ويؤثر عنه أنه قبض على ابن عمار في شقورة سنة (477) هــ قتله المرابطون برنده سنة 484 ، أنظر ترجمته : قلائد العقيان ومحاسن الأعيان : ص 110 ، والحلة السيراء ، ج2/ 70 .

252-مخيمر موسى : رثاء الأبناء في الشعر العربي إلى نهاية القرن الخامس الهجري ، ط 1 ، مكتبة المنار _ الزرقاء ، ص 29

253-المعتمد بن عباد : الديوان ، ص 68- 69 .

254- نفسه ، ص 105- 107 .

255- ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص 522- 523 .

256- هو أبو الربيع سليمان بــن أحمد الدانـــي من بيت مشهور ، نبيل المراتب كان أبوه قاضياً بمالقه وله شهرة بالفقه والأدب ، توفي سنة (631) هــ : انظر ترجمته : اختصار القدح المعلى ، ص 123 .

257- فوزي عيسى : الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ، ص 170 .

258- أحمد المقري : نفح الطيب ، ج2 / 310.

259- هو أبو عبدالله محمد بن خلصة الشذوني الداني ، أحد العلماء بالكلام ، وله حظ من النثر والنظام : أنظر ترجمته : الذخيرة ، ق3 / م 1 / 322 .

260- ابن بسام الشنتريني :الذخيرة ، ق 3/ م1 / 329 .

261 _ هو أبو علي إدريس بن اليماني العبدري اليابسي ، أصله من قسطلة المغرب ، من عمل شنت مرية ابن هارون ، وبدانية قرأ ، وبها نشأ ، توفي سنة (470) هـ، انظر ترجمة: الذخيرة،ق 3/ م336/1 .

262 _ ابن بسام الشنتريني : الذخيرة ، ق3 / م1 / 350 _ 351 .

263 _ نفسه ، ق4 / م1 / 270 .

264- سورة لقمان : الآية (14) .

265- سلمى علي : السابق ، ص 45 .

266- الحميدي : جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق إبراهيم الابياري ، ط (2) ، 1983 ، دار الكتاب ، بيروت ، ص 43 .

267- هو أبو بكر محمد بن عيسى الداني ، كان شاعراً يتصرف ، وقادراً لا يتكلف ، مرصوص المباني ، ممتزج الألفاظ والمعاني ، واستمد لقبهُ اللبانه من والدته التي كانت تبيع اللبن لتعُيل أطفالها . انظر ترجمته : الذخيرة ق 3 / م2 / 666- 667 .

268- هو أبو عبدالله محمد بن عائشة البلبسي أحد كُتاب المرابطين أديب شاعر أحد كُتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ،أنظر ترجمته:الذخيرة ق 3 /م887/2 .

269- سلمى علي : السابق ، ص 53 .

270- ابن درّاج القسطلي : الديوان ، ص 19- 40 .

271- سلمى علي : السابق ، ص 54 .

272- الأعمى التطيلي : السابق ، ص 18 .

273- سلمى علي : السابق ، ص 53 .

274- الأعمى التطيلي : السابق ، ص 18 .

275- محمد أبو حسين : السابق ، ص 70.

276- ابن زيدون :الديوان ،(د.ط) ، (د.ت) ، دار صادر ، بيروت ، ص 160 .

277- محمدأبو حسين ، السابق ، ص 61 .

278- المعتمد بن عباد : الديوان ، ص 107 .

279- ابن بسام الشنتريني : الذخيرة ، ق 3 / م1 / 351 .

280- الأعمى التطيلي : السابق ، ص 68 .

281- نفسه ، ص 69 .

282- نفسه ، ص 19.

283- نفسه ، ص 19 .

284- العماد الأصفهاني : الخريدة ، قسم شعراء المغرب (1) ، ص 267 .

285- أميّة بن أبي الصلت الأندلسيّ : الديوان ، ص 57- 58 .

286- ماهر المبيضين ، السابق ، ص 180 .

287- عبدالله بلقين: مذكرات الأمير عبدالله، تحقيق ليفي بروفنسال، (د.ط) ، 1955 ، دار المعارف ، مصر ، ص 139- 141 .

288 - محمد أبو حسين ، المرجع السابق ، ص 69 - 70 .

289- سلمى علي : السابق ، ص 59 .

290- ابن عذاري المراكشي : السابق ، ص 97- 98 .

291- نفسه ، ص 98 .

292- هو عبدالملك بن عضن الخشني من أهل وادي الحجارة ، وكان اقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في عالم عصره علماً ، وفي الكمال عالماً ، لقي أبا الوليد يونس بن عبدالله القاضي وحدّث عنه بمقالة ، وكان فقيهاً أديباً شاعراً صاحب منظوم ومنشوراً أنظر ترجمته : الذخيرة ق 3/م 1 / 331.

293- ابن بسام الشنتريبي : الذخيرة ، ق3 / م 1 / 332 .

294- ابن الزقاق البلنسي : الديوان ، ص 152- 153.

295- نفسه ، ص 154- 157.

296- هو محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن عيسى بن إدريس التجيبي من أهل قرطبة ، يكنى أبا القاسم ، كان عالماً متفنناً أديباً ماهراً ناثراً ناظماً ، ولد سنة(550) هـ ، وتوفي سنة (601) هـ ، أنظر ترجمته : زاد المسافر ، ص 155 .

297- أبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي : السابق ، ص 155 .

298- هو لبون بن عبدالعزيز بن لبون ، وكان من جملة أصحاب القادر يحيى بن ذي النون ، كان معدوداً من الأجواد موصوفاً بتجويد الشعر ، انظر ترجمته : قلائد العيان ، ص 289 ، الحلة السيراء / 2/ 167 ، النفح : 7 / 672 .

299- ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج2 / 167 .

300- عبدالمجيد اليابري ، الديوان ، تحقيق سليم التنير ، ط1 ، 1988، دار الكتاب العربي ، دمشق ، سورية ، ص 186- 187 .

301- هو الوزير الكاتب أبي المغيرة عبدالوهاب بن حزم ، كان ظبة الحسام وواسطة النظام وفارس ميدان البيان حلّ من زُهر الفضائل محلّ السنان من العامل ، أنظر ترجمته : الذخيرة ق1 / م1 / 132 .

302- الفتح ابن خاقان : قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، ص 292- 293 .

303- ابن بسام الشتريني ، الذخيرة ، ق 3 / م1 / 351 .

304- نفسه ، ق 3 / م2 / 702 .

305- ابن بسام الشنتريني : الذخيرة ، ص 844 .

306- ابو اسحاق الإلبيري : الديوان ، ص 74-75 .

307-ابن الزقاق البلبيسي ، السابق ، ص 226 .

308-المعتمد بن عباد : الديوان ، ص(105-107)

309- أبو حيان الأندلسيّ : الديوان ، ص 167 .

310- الأعمى التطليلي : الديوان ، ص 71 .

311- ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص 366 .

312- المعتمد بن عباد : الديوان ، ص 67 .

313- ابن عبدربّه : الديوان ، ص72 .

314 - ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص 213 .

315- نفسه ، ص 517 .

316- نفسه ، ص 517 .

317- نفسه ، ص 477 .

318- نفسه ، ص 364 .

319- نفسه ، ص 365 .

320- نفسه ، ص 365 .

321- ابن درّاج القسطلي : الديوان ، 340 .

322- نفسه ، ص 126 .

323- المعتمد بن عباد : الديوان ، 8 .

324- نفسه ، ص 23 .

325- نفسه ، ص 90 .

326-ابو اسحاق الإلبيري : الديوان ، ص 74 .

327- نفسه ، ص 76.

328- نفسه ، ص77.

329- نفسه ، ص 77.
330-أبو حيان الأندلسيّ : الديوان ، ص 123 .
331- نفسه ، ص 170 .
332- نفسه ، ص 178 .
333- نفسه ، ص202 .
334- نفسه ، ص 230.
335- فوزي الخطبا : السابق ، ص 33 .
336- ابو حيان الأندلسي : الديوان ، ص 400 .
337 – ابن عبدربّة : الديوان ص 71 .
338- ابن بسام الشنترنتي : الذخيرة ق4 / م1/ 219 .
339- أبو حيان الأندلسيّ : الديوان ، ص 143 .
340 – نفسه ، ص 400 .
341 – نفسه ، ص 401 .
342- المعتمد بن عباد : الديوان ، ص 41 .
343- نفسه ، ص 47 .
344- ابن عبدربّة : الديوان ، 72 .
345- أحمد المقري : نفح الطيب ج294/4 .
346 – نفسه ، ص 294 .
347- سورة العلق : الآية رقم (15) .
348- ابن حمديس : الديوان ، ص478 .
349- سورة الأحقاف : الآية رقم (15) .
350 سورة المؤمنون : الآية رقم (14)
351- ابن زيدون : الديوان ، ص (160) .
352-سورة القصص : الآية رقم (6) .
353- ابن حمديس : الديوان ، ص 480 .
354- سورة النساء : الآية رقم (122) .
355- ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص 517 .
356- سورة الرحمن : الآية رقم (26-27) .
357- ابن حمديس : الديوان ، ص 522 .
358- سورة يس : الآية رقم (78) .

359- أبو إسحاق الإلبيري : الديوان ، ص77.

360- سورة القارعة : الآية رقم (6-11) .

361- أمية بن أبى الصّلت الأندلسيّ : الديوان ، 58 .

362- سورة النساء : الآية رقم (78) .

363- ابن الأبار : الحُلة السيرّاء ، ج89/2 .

364- سورة يوسف : الآية رقم (18) .

365- ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص 212 .

366- مجنون ليلى:الديوان،شرح الدكتور يوسف فرحان ، ط1 ، 1992 ، دار الكتاب العربي ، ص 52 .

367- ابن عبدربّة ، الديوان ، ص 83 .

368-يحيي شامي : السابق ، ص 38 .

369- المعتمد بن عباد : الديوان ، ص 106 .

370-ابن بسام الشنترنتي : الذخيرة ق2/م70/1 .

371- الخنساء:الديوان،تحقيق الدكتور أنور أبو سويلم،ط1 ، 1988 ، دار عمار – الاردن ص 326 .

372- ابن بسام الشنترنتي : الذخيرة ق3/م350/1-351 .

373- أبو العلاء المعري : سقط الزند . شرح أحمد شمس الدين ط1 ، 1990 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ص 188 .

374- ابن بسام الشنترنتي : الذخيرة ق3/م351/1 .

375- أبو العلاء المعري : السابق ص 273 .

376- ابن بسام الشنترنتي : الذخيرة ، ق3/م351/1 .

377- أبو العلاء المعري : السابق ص 274 .

378- ابن بسام الشنترنتي : الذخيرة ق2/م61/1 .

379- عنترة العبسي : الديوان ، تقديم مجيد طراد،ط1 1992 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 191 .

380- ابن درّاج القسطلي : الديوان ، ص 547 .

381- الحطيـئة: الديوان ،تحقيق نعمان محمد أمين طه، ط1،1987، مكتبة الخانجي، القاهره،ص191 .

382- المعتمد بن عباد : الديوان ، ص 69 .

383- مهـــدي ناصـــر الديـــن: شرح ديوان جرير ، (د.ط) ، 1995 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص 449 .

384- محمد أبو حسين : السابق ، 264.

385- أحمد المقري : نفح الطيب ، ج4/284-285 .

386- الفتح ابن خاقان : : مطمح الأنفس ، ص 318 .

387- حسن النوش ، السابق ، ص 474 .

388- ابن درّاج القسطلي : الديوان ، ص 298-299 .

389- حسن النوش ، السابق ، ص 474 ÷475 .

390- ابن بسام الشنترنتي : الذخيرة ق4/م219/1 .

391- المعتمد بن عباد : الديوان ، ص 13 .

392- نفسه ، ص 20 .

393- ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص 131 .

394- أبو حيان الأندلسيّ : الديوان ص 409 .

395- المعتمد بن عباد : الديوان ، ص 112 .

396- نفسه ، ص 23 .

397- نفسه ، ص 33 .

398- نفسه ، ص 38 .

399- نفسه ، ص68 .

400- نفسه ، ص 90 .

401- نفسه ، ص 101 .

402- نفسه ، ص 112 .

403- أبو إسحاق الإلبيري : الديوان ، ص 76 .

404- أبو حيان الأندلسيّ : الديوان ص 145 .

405- نفسه ، ص 179 .

406- ابن الزقاق البلنسي : الديوان ، ص153 .

407- ابن الأبار : الحلة السيّراء ، ج2/84 .

408- ابن بسام الشنترنتي : الذخيرة ق3/م351/1 .

409- أبو حيان الأندلسيّ : الديوان ص 201 .

410- نفسه ، ص 203 .

411- نفسه ، ص 269 .

412- نفسه ، ص 123 .

413- أمية بن أبي الصّلت الأندلسيّ : الديون ، ص 58 .

414- المعتمد بن عباد : الديوان ، ص 100 .

415- نفسه ، ص 106 .

416- ابن عبدرّبة : الديوان ، ص 72 .

417- أبو حيان الأندلسيّ : الديوان ، ص 230 .

418- المعتمد بن عباد : الديوان ، ص 38 .

419- نفسه ، ص 68 .

420- ابن درّاج القسطلي : الديوان ، ص 340 .

421- نفسه ، ص 190 .

422- أبو حيان الأندلسيّ : الديوان ، ص 179 .

423- نفسه ، ص 201 .

424- ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص 523 .

425- نفسه ، ص 366 .

426- المعتمد بن عباد : الديوان ، ص 20 .

427- نفسه ، ص 20 .

428- نفسه ، ص 9 .

429- ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص 478 .

430- الأعمى التُطيلي : الديوان ، ص71 .

431- أبو حيان الأندلسيّ : الديوان ، ص 178 .

432- ابن درّاج القسطلي : الديوان ، 340 .

433- نفسه ، ص 190-191 .

434- نفسه ، ص 126 .

435- نفسه ، ص 74 .

436- ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص 212 .

437- المعتمد بن عباد : الديوان ، ص46 .

438- نفسه ، ص 20 .

439- نفسه ، ص 93 .

440- ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص 523 .

441- ابن الزقاق البلنسي : الديوان ، ص 226 .

442- الأعمى التطليلي : الديوان ، ص 69 .

443- أبو حيان الأندلسيّ : الديوان ، ص 269.

444- ابن درّاج القسطلي : الديوان ، ص 329 .

445- ابن الزقاق البلنسي : السابق ، ص 153.

446- ابن درّاج القسطلي : السابق ، ص 340 .

447- نفسه ، ص 299 .

448- نفسه ، ص 190 .

449- نفسه ، ص 190 .

450- المعتمد بن عباد : الديوان ، ص 13.

451- نفسه ، ص 20 .

452- نفسه ، ص 32 .

453- نفسه ، ص 33 .

454- نفسه ، ص 38.

455- نفسه ، ص 39 .

456- نفسه ، ص 69 .

457- ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص 212 .

458- ابن بسام السنتريني : الذخيرة ، 844 .

459- أبو حيان الأندلسيّ : الديوان ص 193 .

460- نفسه ، ص 193 .

461- نفسه ، ص 407 .

462- الأعمى التطُيلي : الديوان ص 222 .

463- إبراهيم الغنيم : الصورة الفنية في الشعر العربي : مثال ونقد ، (د.ط) ، (د.ت) ، الشركة العربية للنشر والتوزيع ، ص 132 .

464- ابن حمديس الصقلي : الديوان ، ص 212 .

465- نفسه ، ص 527 .

466- المعتمد بن عباد : الديوان ، ص 68 .

المراجع

ابن الأبار ، محمد بن عبدالله ، (1963) **الحلة السيَّراء** ، الشركة للطباعة والنشر ، القاهره ، ط1 .

ابن الأبار ، محمد بن عبدالله ، (1985) ، **الديوان** ، تعليق الدكتور عبد السلام الهراس ، الدار التونسية للنشر .

ابن ادريس ، صفوان ، (1980) **زاد المسافر وغره مُحيا الأدب السافر** ، تعليق عبد القادر محداد ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان .

الأصفهاني ، العماد ، (1966) **خريده القصر وجريدة العصر قسم شعراء المغرب** ، تحقيق محمد المرزوقي ومحمد العروسي والجيلاني بن الحاج يحيي ، الدار التونسية للنشر .

ابن أبي أُصيبعه ، أبو العباس أحمد بن القاسم ، (1981) ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط3 .

الأعمى التطيلي ، بن عبد الله ، (1989) **الديوان**، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .

الإلبيري ، إبراهيم بن مسعود ، (1981) **الديون** ، تحقيق محمد رضوان الدّاية ، دار قتيبة ، دمشق ، ط2 .

بالنثيا ، أنجل جثالث ، (1955) ، **تاريخ الفكر الأندلسي** ، ترجمة حسين مؤنس مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1 .

بلقين ، بن عبدالله ، (1955) ، **مذكرات الأمير عبدالله** ، تحقيق ليفي برفنسال ، دار المعارف ، مصر .

بيريس ، هنري ، (1988) **الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ملامحة العامة وموضوعاته الرئسية ، وقيمته التوثيقة** ، ترجمة طاهر أحمد مكي دار المعارف ، القاهرة ، ط1 .

التبريزي الخطيب ، (1992) ، **شرح ديوان عنترة** ، تقديم مجيد طراد ، الكتاب العربي بيروت ، لبنان ، ط2 .

جبور ، جبرائيل ، (1979) ، **ابن عبد رَبِّه وعقده** ، دار الآفاق الجديدة ،

بيروت ، لبنان ، ط2 .
ابن الحداد الأندلسيّ ، (1990) **الديون** ، تحيقيق يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 .
ابن حزم ، علي بن محمد ، (1987) **رسائل ابن حزم الأندلسيّ** ، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2 .
أبو حسين محمد صبحي ، (2003) **صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين** ، عالم الكتب الحديث ، إربد .
الحطيئة،جرول بن أوس العبسي ، (1987) **الديون** ، شرح ابن السكيت ، تحيقيق نعمان محمد أمين طه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 .
ابن حمديس ، عبد الجبار ،(د. ت) **الديون** ، تقديم إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .
الحميدي ، محمد بن أبي نصر ، (1983) **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق إبراهيم الابياري،دار الكتاب،بيروت ،ط2 .
أبو حيان الأندلسي حيان ، (1969) **الديوان** ، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط1 .
ابن خاقان الفتح ، (1989) ، **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان** ، تحقيق حسين خريوش ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، ط1 .
ابن خاقان الفتح ، (1983) **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس**،تحقيق محمد علي الشوابكة دار عمار،مؤسسة الرسالة،ط1.
خالص ، صلاح ، (1981) **إشبيلية في القرن الخامس الهجري** ، دار الثقافة ، بيروت .
الخشاب ، مصطفى ، (1985) ، **دراسات في الاجتماع العائلي** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .
الخطبا ، فوزي ، (1991) **شعر ابن جبير** ، دار الينابيع للنشر والتوزيع ، ط1 .
الخطيب ، لسان الدين محمد بن الخطيب ، (1973) **الاحاطة في أخبار**

غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 .

ابن خفاجة ، أبو اسحاق إبراهيم ، (1979) ، **الديوان** ، تحقيق سيد غازي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 .

ابن خلكان ، أحمد ، (1989) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق حسين خريوش ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط1 .

الخنساء ، تماضر بنت عمرو السليمية ؛ (د.ت) **(الديون)** تحقيق أنور أبو سويلم ، دار عمار للنشر ، عمان .

الخولي ، سناء (1992) ، **الأسرة والمجتمع** ، دار المعرفة ، القاهرة .

الدّايه ، محمد رضوان ، (2000) **أندلسيات شامية**، دار الفكر، دمشق ، ط1 .

الدّايه ، محمد رضوان ، (2000) **في الأدب الأندلسي** ، دار الفكر ، المعاصر ، بيروت ، لبنان .

ابن درّاج القسطلي ، أحمد بن محمد ، (1961) **الديوان** ،تحقيق محمود علي مكي ، منشورات المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط1 .

دعبول ، رضوان ، (1998) **تراجم أعلام النساء** ، (د.ت) ، ط1 .

الدغلي ، محمد سعيد ، (1984) **الحياة الاجتماعية في الاندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي** ، دار ابن هانئ للنشر والتوزيع ، دمشق ، ط1 .

محمد ، منتصر الريسوني ، (1978) ، **الشعر النسوي في الاندلس** ، تقديم العّلامة عبدالله كنون ، (د.ت) **الديوان** ، تحقيق عفيفة محمود ديراني ، دار الثقافة ، بيروت .

السعيد ، محمد مجيد ، (1985) **الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس** ، الدّار العربية للموسوعات ، بيروت ، لبنان ، ط2 .

ابن سعيد ، علي ، (د.ت) **المغرب في حُلى المُغرب** ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهره ، ط3 .

ابن سعيد،علي بن موسى،(1987) **رايات المبرزين وغايات المميزين**، تحقيق محمد رضوان الداية،دار طلاس للدراسات والنشر،دمشق،ط1.

سلامة ، علي محمد ، (1989) ، **الأدب العربي في الأندلس تطوره ، موضوعاته وأشهر أعلامه** ، الدار العربية للموسوعات ، ط1 .

ابن سوده،أحمد ، (1995) **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، ج2 ، دار الأمير ، ط1 .

شامي ، يحيي ، (1992) **أروع ما قيل في الرثاء** ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط1 .

الشكعة ، مصطفى ، (د.ت) **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ن ط2 .

شلبي ، سعد ، (د.ت) **البيئة الأندلسيه وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف** ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهره .

شلبي ، سعد ، (د.ت) ، **ابن حمديس الصقلي – شاعراً –** ، دار الفكر العربي ، القاهره .

الشنتريني ، ابن بسام ، (1979) **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت .

ابن أبي الصّلت الأندلسيّ ، أميّه ، (1990) **الديوان** ، تحقيق عبدالله محمد الهوني ، دار الأوزاعي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 .

عباس ، إحسان ، (1985) **تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة** ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط7 .

ابن عباد ، محمد ، (1997) **الديوان** ، تحقيق حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي ، راجعه طه حسين ، دار الكتب المصرية ، القاهره .

ابن عبد ربّه، أحمد ، (1979)، **الديوان** ، تحقيق محمد رضوان الدّاية ، دار الفكر ، دمشق ، ط2 .

ابن عبد ربّه ، أحمد ، (1966) ، **العقد الفريد** ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ج3 ، (د.ن) ، ط3 .

عبد الواحد ، علي ، (د.ت) **الأسرة والمجتمع** ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ط8 .

عتيق ، عبد العزيز ، (1976) ، **الأدب العربي في الاندلس** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان .

ابن عذراى المراكش، (1983) **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،تحقيق إحسان عباس،ج4 ،دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3 .

عقلة ، محمد،(1982) **نظام الأسرة في الاسلام** ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، ط2 .

أبو العلاء المعري ، أحمد بن الحسن التنوخي ، (1990) **سقط الزند** ، شرح أحمد شمس الدّين،الدار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط1 .

علي ، سلمى ، (1986) **المرأه في الشعر الأندلسي عصر الطوائف** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، بغداد .

عيسي ، فوزي ، (1996) **الشعر الأندلسي في عصر الموحدين** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية .

عيسي ، فوزي ، (د.ت) **الهجاء في الأدب الأندلسيّ** ، دار المعارف ، الإسكندرية .

غريب ، جورج ، (1985) **شاعرات العرب في الإسلام** ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط1 .

الغزال ، يحيي ، (1982) ، **الديوان** ، بتحقيق محمد رضوان الدّايه ، دار قتيبة ، دمشق ، ط1 .

الغناي ، مراجع ، (1988) **سقوط دولة الموحدين** ، منشورات جامعة قاريونس ، نبغازي .

الغنيم ، إبراهيم ، (د.ن) **الصورة الفنية في الشعر العربي : مثال ونقد** ، الشركة العربية للنشر والتوزيع .

المبيضين ، ماهر ، (2003) **الأسرة في الشعر الجاهلي – دراسة موضوعية وفنية** ، وزاره الثقافة ، عمان ، الاردن .

مجنون ليلى ، قيس ،(1992) **الديوان** ، شرحة يوسف فرحات ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 .

محمود ، نافع ، (1990) **اتجاهات الشعر الأندلسي إلي نهاية القرن الثالث الهجري** ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 .

المشهداتي ، محمد مولود ، (1990) **الشعر الاجتماعـــي في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف**، رسالة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، بغداد .

المقري ، أحمد ، (1968) **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب** ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط1 .

منجد ، بهجت،(1988) **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة** ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل .

ابن منظور، جمال الدين ، (د.ت) **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت .

موسى ، مخيمر ، (د.ت) **رثاء الأبناء في الشعر العربي إلى نهاية القرن الخامس الهجري** ، مكتبة المنار ، الزرقاء ط1 .

ناصر الديـــــن ، مهدي ، محمد : (1995) **شرح ديوان جرير** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

النوش ، حسن ، (1992) **التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي** ، دار الجيل ، بيروت ط1 .

الهاشمي، علي ، (1960) **المرأة في الشعر الجاهلي** ، مطبعة المعارف ، بغداد .

هيكل ، أحمد ، (1979) **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة** ، دار المعارف ، القاهرة .